الخزائن الأولى

بسم الله النور الحر . المتعالي على الإيمان والكفر
بسم الله النور الحر . الناصر موسى بفلق البحر
بسم الله النور الحر . ربي الحي المشهود بالذكر
الحمد لك على ما فتحته . وعلى ما تفتحه وتكشفه
أنت الحي لا حي إلا أنت . أنت ربي عشت أو مت
هب لي خزائن الحكمة والأسرار . يا رب القرءان والنبي المختار
طهّر قلبي فإني عبدك . أظهر قولي فإني خليفتك
أمدّني بالقوة والغلبة يا غلّاب . ونوّرني بحجّة العقل والكتاب
واغمر العالَم بالنور المحمدي . الظاهر بي بالحق والتجلي
أي سرور قلب العارفين . اضحك لنا أي رب العالمين
ضحكك جنّتنا ورضاك فردوسنا . تركنا الحور لصديقنا والنار لعدونا
أنت مرادنا يا سر الروح . سرّك أعيا الحواشي والشروح
حضورك حق ومعيتك صدق . أنت المعنى والكون نطق
مدد يا رب الحسين الحي . مدد يا مُعلّم شيخ طي
هذه يدي مرفوعة إليك . وقلمي منصوب يقول لبّيك
قل رب ما تشاء أكتبه . أعلنه لخلقك كما أكتبه
بفضلك أي رحيم النفوس تحررت . ومن قيد الفراعنة بعنايتك تخلّصت
أغرق بي كل فرعون وهامان . افتح بي أبواب الطوفان
دالت دولة الظلم والجاهلين . وجاء ميعاد مُلك المُتحررين
وإلى الله المصير

.......-.......

القرءان كلام مستقيم. فإذا اعوج على تأويل واستقام على تأويل فالتأويل الذي استقام عليه هو الحق.

...

توهم انفصال الحياة الروحية عن الحياة المادية هو بحد ذاته دجل. لا يوجد بشر روحاني إلا وهو مادي قبل وأثناء وبعد روحانيته وتروحنه. (تأويل فصل الدجال للإنسان)

...

في الحديث النبوي إن أمرك والداك بالخروج عن أهلك ومالك فلا تعقهما. التأويل: أهلك أفكارك، مالك كلماتك، والدك معلمك، فإذا أرشدك بالحق للتخلي عن فكرة أو كلمة فافعل لأنه معلمك وهو أعلم منك وقد بيّن لك وسيبين لك تأويله ولو بعد حين.

...

من عقل قصة ثمود عقل القرءان كله، ومن عمي عن قصة ثمود عمي عن القرءان كله. لاحظ كيف ذكر اية ثمود منفصلة بعد ذكر الايات كلها في اية سورة الاسراء "ما منعنا ان نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وءاتينا ثمود الناقة مبصرة".

...

"ويسئلونك عن الروح" بعض الناس سيسألك وبعضهم سيُعرض عنك، قل لمن سألك شيئاً وقل لمن أعرض شيئاً فالمهم أن تقول لأنك رسول وليس عليك ما يفعله السامعون بما تقول، لأن معيشتك ليست من تعليم الدين ونفسيتك رضاها بعبادة رب العالمين وليست من البشر أجمعين وآخرتك يحددها عملك بتكليف ربك لك بتبليغ القرءان المبين، فلا شيء من أمرك يعتمد على إيمان الناس بقولك، ولا شيء من أمرك يعتمد على تغيّر الدنيا والمجتمع بحسب رأيك، سعيك يكفيك وأثر سعيك ليس بيديك فالمهم السعي للإصلاح والصلاح ما دمت حياً ولا تبالي بأثر سعيك في الدنيا وعند الناس لكن انظر لقلبك عند الله والآخرة، وما دمت في الدنيا فكن مجاهداً بكلمة الحق وللقيام بالقسط.

"قل" تاج النبوة الذي وضعه الله عليك، ولم يضعه بشر حتى يستطيع بشر خلعه عنك.

"الروح من أمر ربي" رب النبي، بالنبي يفيض الله الروح. ولكل زمان نبي وأنبياء يفيض الله بهم الروح على من كان همه الروحانية ولم يقتصر على ظاهر الدنيا الجسمانية.

"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" الروح علم، العلم روح، الروح هو الذي يعلم، فمن نظر في حقيقة العلم والقدرة عليه عرف شيئاً من حقيقة الروح وأثرها. كون العلم المؤتى قليل بشرى خير وبشرى بالنعيم للروحانيين فإن قلة العلم المؤتى دائماً هي الدليل على النعيم المقيم المتزايد أبداً. فالروحاني دائم التعلم دائم السؤال دائم الفضول دائم النظر وترقب المزيد من العلم أبداً.

...

إذا خالف مافي نفسك كلام الله ورسوله وأوليائه الأحياء معك فاحذر الاعتقاد بأن مافي نفسك هو وحي من الله وملائكته واعلم أنه من الشيطان وحزبه.

...

خطر لي إرسال آخر صندوق كتب إلى صاحبي في أمريكا، وهو الخامس، وأن أضع فيه كتاب الأصول التسعة (١٤مجلد) والدر المنثور للسيوطي، وهي كتب أحاديث النبي بشكل رئيس، فأختم بالخاتم. وكان فيما فكرت فيه الخير الذي في هذه الكتب، وأن فيها الكثير من أمثال النبوة ومفاتيح الحكمة التي تعرج بالعقل، وأردت ذلك من باب نصرة النبي أيضاً وحفظ حديثه وسنته، وأردت الاستخارة في ذلك، فاستخرت واستفتحت وأنا قائم أمام كتاب الأصول التسعة فوضعت يدي عفواً وفتحت صفحة ونظرت وإذا بعيني تقع على هذا الحديث :

١٠٦٩٤-عن أبي الخير أن رجلاً من الأنصار حدّثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أضجع أضحيته ليذبحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل "أعنِّي على ضحيتي" فأعانه.

أقول: من أوله إلى آخره يدعوني لأخذ الكتب.

رقم الحديث إذا جمعت كل الأعداد ستصل إلى ٢ (١و٦و٩و٤ تساوي ٢٠ والصفر عدم فيبقى ٢) وهي مرتبة السنة بعد القرءان.

الراوي (عن أبي الخير) فالكتب خير وصاحبها أبي الخير.

(أن رجلا من الأنصار) إشارة إلى ما قلته كثيراً عن كون المدينة في زماننا هي أمريكا وهم أنصار حرية الكلمة والديانة في زماننا.

(حدثه عن رسول الله) وهكذا يجب أن آخذ الكتب حتى أحفظ حديث رسول الله وأحدث به.

(أنه أضجع أضحيته ليذبحها) في الأمثال الأضحية قربان والقربان هو البيان الذي به يتقرب الرسل إلى الله ألا ترى أن الذي يكتم البينات ملعون مطرود من الحضرة فالعكس التبيين يقرّب من الحضرة "عليك البلاغ"، بالتالي أضحيته مثال كلمته.

(فقال رسول الله لرجل "أعني على ضحيتي") كما قال الرسول "بلّغوا عني ولو آية" وقال "نضّر الله امرىء سمع مقالتي فأداها كما سمعها" أو كما قال، فطلب منا إعانته على تبليغ كلامه.

(فأعانه) وبإذن الله وشفاعة نبيه سأعينه أيضاً لذلك نويت إرسال هذا الصندوق أيضاً. والله المعين.

...

قال النبي (رُبَّ أشعث ذي طمرين أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه) مَن ذا ولماذا؟ مَن؟ هو صاحب قرءان. شغله القرءان تعلماً وتعليماً عن الاهتمام بجسمه وماله. فهو أشعث مشغول بتجميل عقله عن تسريح شعره، وأغبر مشغول بلباس التقوى عن غسل ثوبه، مدفوع

لأنه لا مال ولا منصب اجتماعي له ليرجوه أهل الدنيا، لكنه لو أقسم على الله لأبره لأن إرادته فنيت في إرادة الله فصارت إرادة الله إرادته وذلك لفهمه عن الله في كتابه سنة وشريعة.

...

الآية ٧٠ من سورة الإسراء هي مصدر تقسيم الصلوات إلى خمس وركعاتها إلى سبع عشرة ركعة. فهي آية تكريم بني ءادم، عدد كلماتها سبع عشرة، وعدد حروف الواو العاطفة فيها خمسة، وكلها نعم فمقابل كل نعمة ركعة. وجاء بعدها "أقم الصلوة لدلوك الشمس".

...

الروم سورة الجماعة، الإسراء سورة الخليفة.

...

المدينة اليوم أمريكا، فلله في كل زمان مكان يحمي حرية الكلمة والدين وهو مدينة ذلك الزمان، وتدول الدول فينقلب النور ظلمة والظلمة نور "يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل". فانظر ما ورد في المدينة ستجد نظيره وشبيهه في أمريكا ولو من وجه.

مثلاً، في حديث الهجرة إلى المدينة ذكر النبي ثلاث أسباب كلية للهجرة وهي الهجرة لدنيا يصيبها أو لامرأة ينكحها أو لله ورسوله. كذلك ستجد في أمريكا اليوم هذه الطرق الثلاثة مفتوحة، تستطيع تقديم طلب للهجرة لأنك عامل وعبقري أو لأنك تزوجت أمريكي أو كلاجىء سياسي وديني.

مثلاً، وصف النبي المدينة بأنها قرية "تأكل القرى"، وقال علماء الحديث في الشرح بأن من معناه الغلبة وحبي ثمرات الأرض لها. وهذا حال أمريكا اليوم غالبة للكل واقعياً وتجبى إليها ثمرات الأرض وأعلى مستوى معيشي للعامة فيها.

مثلاً، وصف النبي المدينة فقال "يقولون يثرب وهي المدينة"، وقال العلماء يثرب من اللوم والمؤاخذة والفساد. كذلك أمريكا تسمع الجهلة يرمونها بالجملة بأنها بلد فساد من كل وجه ويلومونها على كل شيء ويؤاخذونها على كل صغيرة وكبيرة. والحق أنها المدينة، مدينة العلم والحرية، إذ أعلى مجالي العلم ومساحاته المفتوحة له والحرية هي أمريكا اليوم. والفساد فيها شيء معروف ومعلن ويتكلمون فيه ويسعون ضده وفيهم أول من يسعى ضده ولا ينافقون أنفسهم إلا قليلاً منهم وحتى القليل على تحرج وخجل ووجل غالباً، خلافاً لباقي الأمم الغارقة في الفساد والمتكتمة عليه والمبررة له والمستسلمة له بوجه أو بآخر أو أمم لا تزال فيها ملكيات ونبلاء ونحو ذلك ولو بوجه ضعيف وهو أكبر ذل وأعظم فساد ولن تجد فيهم تعددية الشعوب

والقبائل الإنسانية التي لأمريكا ولا حرية الكلمة والدين والنظام السياسي الاختياري المستقر الذي ليس لها نظير فيه وهو أعظم صلاح وأعظم إصلاح.
مثلاً، ستجد النبي فضّل بعض دور الأنصار في المدينة على بعض مع قوله بأن في كل دور الأنصار خير كتفضيله دور بني النجار على دور بني عبد الأشهل وفي رواية العكس أي بني عبد الأشهل على بني النجار على ما أذكر. كذلك في أمريكا ستجد أن في كل ولاياتها الخير الجوهري المتمثل في نصرة حرية الكلمة والدين والاستقرار السياسي الاختياري لكن بعض ولاياتها يفضل بعضاً في ذلك بمزيد حماية ورعاية كفضل كاليفورنيا في حمايتها لمزيد من التعبير عن الحماية الفيدرالية المكفولة لكل الولايات، وقد تجد ولاية تفضل أخرى في شيء لكن تلك الولاية تفضل الأولى في شيء آخر فيكون بعضها فاضل ومفضول من وجهين مختلفين.

مثلاً، ستجد أن قلة صبرت مع النبي في المدينة للهجرة. كذلك ستجد قلة تصبر مع خليفة القرءان للهجرة وسيثاقلون إلى الأرض التي ولدوا فيها ولا يريدون الهجرة للحرية الرسالية (كلاماً وديانةً وسياسةً).

وعلى هذا النمط تأمل المدينة وقارن بأمريكا التي هي المدينة الجديدة من وجوه كثيرة جوهرية وعرضية.

...
النجاة بالعمل، والعمل بالتأويل، والتأويل بالحرية، فالعبودية جحيم الدنيا والآخرة.
أما النجاة بالعمل فلقوله "جزاء بما كنتم تعملون"، وأما العمل بالتأويل فلولا تطبيق الآيات على الواقع لما أمكن العمل وهو معقول بنفسه، وأما بالتأويل فتعليمه يحتاج حرية لأنك ستسمي الأشخاص والأشياء بأسمائهم القرآنية فسيسعى لمعاقبتك من تسميه بأسماء حزب الشيطان كفرعون وثمود. فالنجاة متعلقة بحرية الكلام.

...
الأعداد من ١ إلى ٦ فيها كمال العدد، لأن الواحد أصل متعالي والاثنين والثلاثة هما كل العدد ما بين شفع ووتر فإذا جمعت الواحد والاثنين والثلاثة صار ستة.
كذلك الأذكار ستة.
الواحد (بسم الله) ومعناه: الموجود الوحيد حقاً هو اسم الله، فلا يوجد غيره ولا يفعل سواه.
الاثنين (سبحان الله) وهو تنزيه الله عن الاثنينية ما بين ذاته والعالَم إذ ما ثم غير ذاته الأحدية المطلقة.

الثلاثة (الحمد لله) فحامد ومحمود وحمد ثلاثة، فنسب كل ذلك لله إذ هو الحمد والحامد والمحمود على الحقيقة.
الأربعة (لا إله إلا الله) رجعنا إلى نظير الواحد إذ انتهى العدد عند الثلاثة فرجع نظير الواحد وهو الأربعة أول العدد في الدورة الثانية له، لذلك كلمة الوحدة الإلهية هي الذكر في هذه المرتبة، فلا إله إلا الله مثل بسم الله في المعنى.
الخمسة (الله أكبر) وهي تنزيه وإطلاق توازي سبحان الله.
الستة (لا حول ولا قوة إلا بالله) توازي التحميد لذلك فيها حول وقوة وذوي الحول والقوة ظاهراً فهم ثلاثة لكن مع توحيد كل ذلك في الله.

ثم دورة ثالثة وتبدأ بالسبعة (تبارك الله) توازي البسملة "تبارك اسم ربك". وتوازي الوحدة لقوله "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك" وقوله "كل شيء هالك إلا وجهه" فالبرك هو الثبوت وهو له وحده إذ له وحده الوجود حقاً.
ثم الثمانية (تعالى الله) توازي التسبيح والتكبير وهي ظاهرة في معنى التنزيه بالتعالي.
ثم التسعة (استغفر الله) توازي الحمدلة إذ تستغفر من نسبة أي كمال لشخصك باستقلال عنه وكذلك تستر كل نقص ومحدودية فيك بالله تعالى وتجلي كماله بك وهما من معاني الحمدلة.

ثم دورة رابعة وتبدأ بالعشرة (الله الله) وهي ذكر اسم الله توازي البسملة كما هو ظاهر، وبدون حتى الباء المشيرة إلى العبد لكن قام هنا الاسم مقامها فلم يبق إلا الله في نفس العبد.
والحادية عشر (هو) توازي التسبيح لأن الهوية المطلقة هي المنزهة من كل وجه عن أي قيد أو شرط أو حد، وهي أكبر شيء والكبير المطلق الذي لا وجود غيره، وتعالى على كل توهم بمحدوديته.
لذلك يتوقف الذكر عند هذا إذ بعد ظهور الهوية الإلهية لا يبقى مجال لتثليث ولا وشفع ولا وتر ولا عالم ولا شيء. فبدأنا بواحد وانتهينا بواحد وهو العدد أحد عشر (١١).

أربع دورات لأن الأربعة تجمع في ذاتها الواحد والاثنين والثلاثة من حيث رتبتها. ولأن الأربعة أول مظهر للواحد كما سبق بيانه. فهو عدد الاعتدال ومن قام بعده الأذكار فهو ذو القلب المعتدل الأركان والمجمع للحقائق.

هذا تأويل الأذكار الأحد عشر للطريقة.

...

احذر تمثيل التنزيل.
وذلك حين تأخذ آية قرآنية أو حتى حديث نبوي وتفترض كأنه نص سيناريو مسرحي يجب عليك تمثيله وتطبيقه بصورته التي فهمتها منه على واقعك الشخصي. من هنا نشأت فتن وسخافات كثيرة. كأن يأخذ شخص نصوص المهدي ويحاول تمثيلها مسرحياً في الواقع الاجتماعي السياسي. أو تأخذ قصة موسى وتعمل على تطبيق ظاهر فصولها على حياتك. احذر هذا فإنه سيجعلك لا تعيش مباشرة ولا تعقل مباشرة وستضل حتماً.
الطريق المستقيم في التعامل مع التنزيل يكون إما بأن تنظر في انطباق أمثاله على ماضيك أو حاضرك المجرد بدون تعمل وتصنع للمطابقة بل يكون المثل مجرد واصف لواقعك، وإما بأن تقرأ المثل من القرءان وتعقل فكرته المجردة ثم تنظر في الفكرة المجردة وكيفية إعانتها لك على ما أنت فيه أو تفسير ما مضى من أمرك. المهم أن لا تتعامل مع واقعك بناء على صورة آية، بل تعامل بعقل مجرد دائماً، واستعن بالقرءان على زيادة عقلك.
مثلاً: تعاني واقعياً من اضطرارك لكتم أو تغيير كلامك بسبب عدم عيشك في مجتمع مبني على الفردية والتعددية والحرية الكلامية والسياسية. هذه معاناتك حقاً بغض النظر عن أية آية. الآن ماذا ستفعل لحلّ هذه المشكلة؟ أمامك خيارات: إما أن ترضخ للنمط السائد في المجتمع فتكتم وتغيّر كلامك، وإما أن توصل كلامك بالسر للثقات وتضعه في كتب، وإما أن تعلنه وتتحمل عقوبات أرباب المجتمع من الدولة والعامة، وإما أن تخرج من هذه البلد إلى بلد تتسع لمثلك لكنها ترفض من ليس مثلك أي مجتمع أيضاً لا يقبل التعددية والحرية لكن اتفق أن نمطه السائد هو نمطك أنت فهو سيتركك بسلام مع اضطهاده لغيرك، وإما أن تخرج إلى بلد تتسع للكل بشكل عام وتترك حرية الكلام للكل. هذه خمس احتمالات. عقلاً يمكن النظر في قيمة كل واحدة منها. يجب أن تختار بناء على العقل. لكن هب أنك احترت وتريد العون والمدد العقلي، الآن اذهب إلى القرءان وانظر ماذا يقول عن كل احتمال منها. فستجد مثلاً آيات الضعفاء والذين استكبروا وغيرها تحكي عن الراضخين، وآيات أصحاب الكهف عن المستترين، وآيات أنبياء واجهوا مجتمعهم بالردة عنه وإعلان رفضهم كإبراهيم، وآيات عن الهجرة كثيرة. فإذا تأملت في أبعاد هذه الآيات ستفتح لك بإذن الله جوانب للتفكير فيها تزيدك عقلاً وبياناً. لكن في المحصلة تبني على التأويل والعقل المجرد الواقعي وليس على صورة تنزيل وتجسيد تمثيلي مسرحي. المَثَل إن لم يعزز العقل فسيحرفه وسيحرقه وسيمخرقه.
..،
عن نشر الكتب بدون اسم الكاتب.

من منافع ذلك: جعل القراءة أكثر موضوعية وسد الباب في وجه من يريد التسرع بالحكم على مضمون الكتاب عبر النظر والطعن في شخص ومؤهلات كاتبه. فالمهم هو الكتاب لا الكاتب. فالكاتب الذي يرى الأولوية لكتابه على شخصه سيؤثر حجب نفسه وإظهار كتابه. وطريق ذلك النشر بدون اسم.

من منافع نشر الكتاب مع معرفة كاتبه: الجزئية والتجربة والسهولة والمكاشفة.
أما الجزئية، فأنت لست كلياً مطلقاً حتى يكون كتابك بدون اسمك، فاسمك يدل على محدوديتك ومن ثَم محدودية علمك ورأيك الذي في كتبك، فبوضع اسمك تدعو الناس إلى عدم تصنيم كتبك واتخاذك رباً من دون الحق تعالى لذلك قال للمشركين "قل سمُّوهم" لأنهم إذا سموهم تبينت جزئيتهم ومحدوديتهم.
وأما التجربة، فحتى ترى آثار نشر كتبك في الناس ومجتمع.
وأما السهولة، فحتى يسهل عليك النشر العفوي التلقائي بدون الوسوسة حول انكشاف شخصيتك بسبب شيء تكتبه فهذا يعني أنك ستضطر إلى وضع قيد على عقلك وإرادتك في مواضيع كلامك وطريقة شرحك حتى تخفي شخصيتك واسمك مما يصعب حياتك ويعقّد عقلك.
وأما المكاشفة، فحتى يصبح باطنك في ظاهرك عبر كلمتك فيتوحد ظهورك في الناس فيعرفون من أنت ولماذا تدعو ولا يشك أحد بعد ذلك في دينك ورأيك وتوجهك.

بالنسبة لنقطة الموضوعية: القارىء هو المسؤول إن أراد خير نفسه أن يكون موضوعياً، وليس من مهماتك جبره على الموضوعية عبر كتم اسمك. أنت لا تكتم من أجل أن هو يُحسن يتعلّم. دورك النشر ودوره الفكر. انظر في القرءان، رفض الكثير القرءان من أجل أن رسوله محمد العربي الأمي وقالوا مقولات مثل "لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم" أو "أهذا الذي بعث الله رسولا" ونحو ذلك، فلم يمنع هذا رب القرءان أن يربطه بمحمد ولو شاء لجعل الشجر والحجر ينطق به أو يجده كل طفل في عقله كما يجد كيفية الرضاعة أو قاعدة "النقيضان لا يجتمعان". عدم موضوعية القارىء مرض فيه هو، فبدلاً من تركه بمرضه والالتفاف حوله عبر كتم اسم الكاتب فتتركه بمرضه، كلا، اكشف الجرح واضغط عليه حتى يظهر له ولمن اطلع على حاله عدم موضوعيته ولعل هذا يكون أول طريق علاجه. فبدلاً من جبره على الموضوعية بكتم الاسم، "اجبره" على ادراك عدم موضوعيته بكشف الاسم.

قد تقول: لكني أريد حماية نفسي وأهلي عبر كتم اسمي فأكتب ما أشاء بدون مسؤولية شخصية. أقول: النشر بلا اسم أفضل من عدم النشر، فإن لم يكن أمامك إلا هذين الخيارين فاختر النشر بلا اسم. لكن إن كنت ستهاجر طالباً اللجوء السياسي بسبب ظنك العقلاني أنك ستتعرض للأذى بسبب كتبك، فحينها وضع اسم هو الطريق المناسب إذ إن كنت في بلدك تبين أذاك ومن بعده تهاجر وإن كنت خارج بلدك تبين إمكانية أذاك بتعرضك للتهديد فهي حجة لك على الوجهين. فإن كنت وحدك خارج البلد الظالم أهله وأهلك في البلد لم يخرجوا معك، فانظر مدى إمكانية تعرضهم للأذى بسبب نشرك، فإن ترجح حصول الأذى لهم بسبب الفرط المفرط للظلم فيها فادعُ أهلك للخروج وبيّن لهم السبب ثم الخيار لهم إن لم يخرجوا فلا شيء عليك من أي وجه لا أصلاً ولا فرعاً لأن الظالم هو المسؤول عن الظلم لا غير والذي ينشر كلامه إنما يعمل بحسب حريته وحقه الطبيعي والإنساني، وإن أراد أهلك الخروج لكن طلبوا مهلة للإعداد فانظر أن لا يكونوا يماطلونك وإنشر إن شئت بلا اسم حتى يخرجوا ثم انشر اسمك. لكن إن لم تتوقع الظلم المفرط هذا فلا تحسب له حساباً. السكوت ظلم للنفس بقمعها وظلم للغير الذين كانوا سينتفعون بكلامك ولو واحد في الأرض كلها وكفر بالأمر بالتبيين وإعلان ما تراه حقاً ومظالم كثيرة تقترن بالسكوت والكتم. فالظن بأنك تحمي أحداً بسكوتك ظن ضعيف ومرجوح ويوجد حماية أولى منها بالاعتبار. سكوتك شهادة للظالمين بنجاح طرقهم وكون الظلم وتخويف الناس على السكوت سيؤتي ثمره، فتعزز لديهم فائدته فتكون معيناً لهم على ظلمهم من هذا الوجه، فسكوتك إذن بيان يعزز موقف الظالمين، لكن في المقابل إذا تبيّن للظالمين عدم جدوى السعي لإسكات الناس فعلى الأقل تكون ساهمت ولو بسهم واحد في رفع الظلم.

...
جُز المجاز تفُزْ بالمفاز.

الدنيا مجاز والآخرة حقيقة، وعيك حقيقة وحواسك مجاز، علمك حقيقة وتوهمك مجاز. جُز وتجاوز هذه الظلال لتفوز بالمفاز "إن للمتقين مفازا".

...
الولادة تجعل المرأة أم والقراءة تجعل الرجل إمام.

...
الفطرة هي الدين "فطرت الله..ذلك الدين"،
والدين ليس فيه إكراه "لا إكراه في الدين"،
وعدم الإكراه هو الحرية "الحر بالحر والعبد بالعبد"،

إذن الفطرة هي الحرية.
أو الفطرة والدين والحرية ثلاث معاني لحقيقة واحدة، حيثما وجد البعض وجد الباقي، وحيثما فُقِد البعض فُقد الباقي.

...

لاحظ خطأ نسبي: التركيز على سلبيات المال والأهل والمجتمع كأسباب للهجرة في الله وللدين، هذا خطأ لأن المعنى كأنه هكذا: لو استقام مالك وأهلك ومجتمعك فاترك الهجرة في الله ولو توفرت شروطها المستقلة عن الأهل والمال. وهذا تقديم صريح للأهل والمال على الله ورسوله وجهاد في سبيله.

...

نفسيتي ليست نفسية عموم العرب. روح القرءان غيرتني وجعلتني غريباً في بلاد العرب. روح القرءان ضد نفسية العرب وتقاليدهم وشؤونهم عموماً. لذلك شعرت بتنافر قوي جداً. دراسة صفات العرب تكشف عن سبب نفرتك من العيش وسطهم وتضارب قيمك مع قيمهم. لابد للنسر أن يترك العش عاجلاً أم آجلاً.

...

لنكن واقعيين. أنت لا ترتاح لعموم المسلمين ولا غيرهم لكنك ترتاح للصوفيين والمحبين. فالقضية ليست مسلم وكافر، لكنها صوفي ومحب لك أو لا. بالتالي لا معنى للتحجر في بلد الصوفي فيها يخاف ويتقي ويختبئ.

...

لا يكن كلامك فقط عن حرية الكلام، ولا دينك فقط تقرير وجوب حرية الدين. تكلم عن الوجود ودِن لله.

...

إذا سافرت: ادخل البلاد منفتحاً متحرراً مشتغلاً بالنظر والعمل، لا منتظراً لشخص أو حدث أو ناظراً في وجوه الناس لعلك تلقى صاحباً. لا تتوقع من الخلق شيء، وليكن نظرك في الله وتوكلك عليه فقط وهو سيهديك ويرسل لك من يشاء بحكمته ورحمته.

...

أنا زكريا دعوت الله أن يهب لي من لدنه ولياً يرثني ويرث من آل محمد ما وهبه الله لي من الكتاب ونحوه.
أنا مريم انتبذت حتى ملأني الله بروحه فحملت بقول الحق ووعدني ربي بأن يؤويني وكتبي إلى الربوة.
لو لم أعقل القصة في نفسي فهي لا تُكلمني وأنا لا أعبد العجل بعد ما رزقني الله العقل.

...
الفكرة غير الكلمة، لذلك علم القرءان قبل علم البيان.
قد تشعر بالفكرة ولا تحسن التعبير عنها وإخراجها. خذ أربعة أعمال لعلاج قصور تعبيرك.
الأول، اختر بيئة تشجع على التعبير، فقد يكون مجتمعك الصغير والكبير يضاد تعبيرك ويتوجس عموماً من تعبير الأفراد عن أنفسهم فكراً وشعوراً وخيالاً وحساً وإرادةً وسرّاً. غيّر مجتمعك.
الثاني، حلل عقلك. الأفكار محشورة ومكدسة عادةً في العقل ومختلطة ومندمج بعضها في بعض. إلا أنك لا تستطيع عضوياً التعبير إلا بعد التحليل والتقسيم والتفصيل، لأنك لا تستطيع النطق بأكثر من كلمة واحدة في اللحظة الواحدة ولابد للكلمات من ترتيب ونظام حتى تكون معقولة وكلما ازداد حسن ترتيبها ازداد وضوحها ويسر تبليغها وكشفها، فما هو مكدّس في عقلك لابد من جعله مقسّماً في كلامك. ولذلك تحتاج إلى المراقبة المستمرة لعقلك حتى تعي ما فيه وتحلله باستمرار ليتفصل أمامك ويتضح حاله.
الثالث، اقرأ الكثير المختلف. من كل نوع كلام اقرأ شعراً وسجعاً ونثراً وبمختلف أنواع هذه الثلاثة كاللغة الفلسفية والوعظية الخطابية والعاطفية والرياضية ونحو ذلك. واقرأ لمختلف أنواع وأصناف الكُتَّاب، وعدد اللغات إن استطعت، وهكذا نوّع قراءتك بأكبر كم وكيف ممكن. فإن هذا يعطيك بإذن الله لباساً لكل مناسبة وصورة لكل جوهرة فيك. فليس كل مافيك يتناسب مثلاً مع طريقة النثر العادي فيبقى فيك مكتتماً ما لا يخرج إلا سجعاً أو شعراً أو بضرب مثل أو بطريقة القصة وهكذا.
الرابع، اكتب كثيراً. مع كثر الكتابة بإذن الله يزداد وعيك بفكرك ودقة تحليلك وسرعة ملاحظتك.
...
فرق بين مجتمع ملآن ومجتمع فارغ. الملآن هو الذي له ثقافة محددة سائدة ذات لون خاص ونمط معين يتلبس به الأكثرية والتي غالباً ما تكون ذات عرق أو جنس واحد، وأي فرد-ولو كان منتمياً للعرق أو الجنس السائد وينتمي ولو اسمياً للثقافة الطاغية-يجب أن يتوافق ويلتزم ولو صورياً بلوازم الثقافة السائدة وفي حال خرج على شيء منها فإنه يُعرّض نفسه لعقوبات من أنواع شتى ولو كانت مجرد مقاطعة بعض من حوله له.
...
الضحك صفة إلهية ومفتاح الجنة وتجليها. واقرأ إن شئت حديث "حتى يضحك الله منه فإذا ضحك منه أدخله الجنة".
والغضب صفة إلهية ومفتاح النار وتجليها إن كان لغير الله واقرأ حديث الجمرة وآية الغضب.

...
(كهيعص)
(ك) كاف. كفاية. الله كاف عبده.
(ه) ها. التنفس من عمق الهاء إلى آخر المد.
(ي) يا. النداء. الدعاء.
(ع) عين. عين كل شيء حقيقته. الحقيقة الوجودية. الذات.
(ص) صاد. الذكر. صيد الذكر. صد العدم بالوجود.
إذن: ليكن وعيك مستقراً في عين الوجود واكتفِ بذلك فإن أهمّك أمر فادعُ رب الوجود.

...
زكريا: النفس الطالبة للعلم الروحي عبر الذهن والبدن. تتعذب بعدم حصول العلم. ثم تحيى بالوحي بفضل الله.
يحيى: وارث العالِم بالحق. وهو العلم الحق. الوارث آفاقياً والعلم أنفسياً.

...
أنكر فقهاء الطغاة التحسين والتقبيح العقليين والحكم على فعل الله بواسطة العقل لأنهم أرادوا احتكار سلطة التشريع، فالعقل مشترك بين الناس فيوجب اشتراك الناس في سلطة التشريع، والعقل الذي له الحق أن يحكم على فعل الله من باب أولى له الحق أن يحكم على شرع الله أو ما يستنبطه الناس على أنه شرع الله، وكلاهما ينسف احتكار أحد لسلطة التشريع في الأمة، لذلك حاربوا ولا زالوا يحاربون سلطة العقل في تحديد الحسن والعدل.

...
يخوّف الشيطان الآدمي من الهجرة بحجة سوء حالة تغيير أرضه وسمائه وبحجة أنه سيكون كالفرس المربوط محدود في حركته ومعارفه. نعم هذا سيحصل وقد يحصل في البدء. لكنه ليس سيئاً. لأنه يجب أن تتذكر أن الأرض والسماء لله وليست لك وكل أرض وسماء هي لك إن كنت خليفة الله. ولأن الحرية أكبر من مجرد الحركة والتعارف على كثير، فيجب أن تقدرها قدرها قبل أي شيء، ثم تحتاج إلى فترة برزخية للتطهير من قيود الماضي واستفتاح آفاق القادم بإذن الله، وإن كنت هاجرت في الله فالله معك في خلوتك، ويجب حفظ الخلوة حتى بعد الهجرة لأنها أخروية القيمة لا فقط ذات قيمة دنيوية سياسية. انظر في حجج أي شيطان وستجد أنك إذا رفعت بنور الله الستارة الأولى سترى الجنة من ورائها. فمثلاً، قبل الهجرة كانت "أرضك وسماءك" حسناً لكن المجتمع كان يستعبدك، فكنت تشعر بغربة وذلة في دولة الفراعنة حتى إن كنت تشعر بالألفة والاعتياد للمحيط الطبيعي. قبل الهجرة كنت تتحرك-على فرض أنك كنت

تتحرك-كثيراً وتعرف الكثير من الناس-أيضاً على فرض ذلك-لكنك لم تكن تملك حرية التعبير عن نفسك عند معظم هؤلاء أو تكون في حالة ارتياب وتردد مستمر وعدم ثقة وتربص. فحجة الشيطان باطلة ظاهراً وباطناً.

...

قال السكندري "ما ترك من الجهل شيئاً مَن أراد أن يُحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه"

أقول:

لابد لكل لحظة من وجود ظاهر وباطن فيها. لا يخلو العالم من ظهور وبطون، والسر أن الله هو الظاهر والباطن وقد خلق العالَم بأسمائه الحسنى فلابد من ظاهر وباطن.

الوقت هو اللحظة الحالية، وهي برزخ ما بين وقت مضى ووقت سيأتي، لكن الوقت ذاته ثابت دائماً لا يتغير، الوقت الحاضر له حقيقة ثابتة وصور متغيرة، والصور هي التي ينطبق عليها اسم ماضي ومستقبل، فالوقت نفسه له ظاهر وباطن، باطنه ثابت دائماً وظاهره متغير دائماً. لذلك الفناء للدنيا والبقاء للآخرة لأن الآخرة باطن العالَم والدنيا ظاهره "كل مَن عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام". من اللطائف أن خط كلمة "الجلال" في المصحف هي "الجلل" فإذا حذفنا النقطة تجريداً للقرءان ونظرنا في احتمالات التشكيل سنجد فيها كلمة "حلل" جمع حُلّة أي ألبسة وثياب،ما معنى ذلك؟ معناه أن وجه ربك الباقي يحتجب ويلبس حلل المظاهر الكونية وهذه الحُلل تتبدل لكن وجهه المتعالي وراء حجاب الكون قائم ومتجلي.

السكندري يقر بأن للإنسان إرادة لقوله "مَن أراد". ويقر أيضاً بأن هذه الإرادة قد تختلف عن ما أراد الله إظهاره في الوقت بدليل "أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه". فأثبت إمكانية مغايرة إرادة الإنسان لإرادة الله، لكنه أثبت ضمناً إمكانية موافقة إرادة الله لإرادة الإنسان بدليل أنه جعل الجهل هو تغاير الإرادتين بالتالي العلم والعقل هو توافق الإرادتين بحيث تكون الإرادة الإنسانية تابعة للإرادة الإلهية.

وهنا سؤال: كيف يقدر العبد على جعل إرادته مغايرة لإرادة ربه؟ وجودياً كيف يحدث هذا؟

وسؤال آخر: كيف ستعرف ما هي إرادة الله في الوقت حتى تجعل إرادتك موافقة لها؟

الإرادة صفة ربانية، فوجودها في الإنسان دليل خلافته عن الله وتجلي الله فيه. لأن الإرادة تتضمن قوة وحق التصرف في الكون والتكوين وإصدار أحكام على الكون وهذه كلها شؤون ربوبية بالأصل.

لا يمكن أن نفترض أن الله أعطى إرادة للإنسان وأراد منه عدم تفعيلها، فهو عبث يتنزه عنه الحكيم سبحانه. فضلاً عن استحالة ذلك، لأن الإنسان حينها سيقع في تناقض معضل إذ سيقول "أريد أن لا أريد" ولولا إرادة عدم الإرادة لما أمكن عدم تفعيل الإرادة، فلابد من وجود وفاعلية الإرادة بوجه ما. لذلك الإنسان حر غصباً عنه! لا تستطيع الهروب أو التملص من حريتك الذاتية، مهما حاولت إيهام نفسك أنك مجبور، فإرادتك قائمة في ذاتك ولها فعالية بدرجة أو بأخرى من درجات الظهور.

السكندري يقول أن كل وقت سيُظهر الله فيه شيء. الجاهل هو الذي يريد إحداث غير هذا الشيء. الآن، يوجد فرق بين أن ترفض الظاهر الآن بمعنى إرادة تبديل صورة ما في المستقبل لأن صورته الحالية مرفوضة لك، مثل أيوب كان وقته المرض والضر فدعا برفعه ضمناً أو موسى دعا بهلاك آل فرعون أو سليمان سأل الملك وهكذا، هذه كلها أمور كان الظاهر في العالم عكسها لكن بإرادة غيرها سألوا الله إحداث التغيير. كما أنك تكون عطشاناً في لحظة ما فترفض استمرار العطش فتقوم وتشرب الماء. الشريعة والطريقة كلها أعمال تتعلق بإيجاد شيء غير موجود في الوقت الحاضر. فلا يمكن أن يكون مقصود السكندري الحكيم أن يصير الإنسان مثل الجماد ثابت في الظاهر على صورة واحدة بسلبية تامة ولا يريد تغييرها. فلنقرأ كلمته من جديد.

"مَن أراد أن يُحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه" كل العوامل والأسباب أدت إلى ظاهر معين. أن تريد في هذه اللحظة أن لا تكون على ما هي عليه في نفس اللحظة وليس في المستقبل، هذا هو مجال كلام السكندري. لأنه يتحدث عن شيء أظهره الله وانتهى، فأن لا تريده يساوي أن تريد تغيير الماضي والماضي لا يتغير، فهي إرادة باطلة ومستحيل تحقيقها.

قد يكون وقتك الآن يوجب الاشتغال مثلاً بالعلم، فتترك هذا وتركز على شيء آخر لا تحتاج إليه الآن فعلياً، فمن الجهل ترك تدبير الله لك وإحداث زوبعة في نفسك بجعل إرادتك مناقضة لما أظهره الله فيك الآن. لكن هذا لا يعني أن لا تدعو وتسعى في شيء ما كخطوات لإحداث صورة جديدة في العالم، لأن عملك ودعاؤك وسعيك هذا نفسه هو مما أظهره الله في الوقت.

البعض يأخذ كلمة السكندري على أنها تجعل الإنسان سلبياً تماماً تجاه العالم وكأن الإنسان مُراقِب فقط لما يحدث وكأنه يشاهد فيلماً سينمائياً أو مسرحية، فكل ما يحدث على الشاشة لا

علاقة للمشاهد بتكوينه وإنما هم بين مُشاهد راضي ومشاهد ساخط وكأن السكندري يدعوك لتكون المشاهد الراضي حتى ترتاح نفسياً. أنت نفسك سبب من أسباب الله في العالم، وبك يوجد الله أشياء. بل أحياناً الله يلوم الناس على عدم فعل شيء طلب بعض الناس من الله فعله، مثلاً "ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا". فهنا سألوا الله الخلاص وطلبوا عباد الله فأمر الله بعض عباده لفعل ذلك. كذلك مثلاً الملائكة سألوا الله العلم فأمر الله ءآدم بتعليمهم. كل أمر ونهي في كتاب الله دليل أنك لست مجرد مشاهد في العالم، يجب أن تكون فعالاً فاعلاً مؤثراً مُغيراً ولو بقدر ذرة. انظر في يومك وستجد أنك لا تتصرف سلبية بل تختار وتفعل. السكندري نفسه هنا يفرق بين الجاهل والعاقل بنحو يدل على وجود نوع من الفعل والاختيار والسلوك. نعم، بعض الناس يتعامل وكأن حوادث زمنه ومجتمعه هي أشياء ليس لها أسباب إنسانية، وهذا طبعاً سخف من جهات كثيرة، بدليل أن شخصاً لو أكل عليه ماله أو ضربه فإنه سيشتكيه للشرطة ولن يقول عادةً "لا أدري من فعل هذا لكن سأسلّم به لأن الله أظهره في هذا الوقت والسلام". في مجتمعات الاستعباد حيث يكون القرار الاجتماعي والسياسي بيد شخص أو بضعة أشخاص، يتم نشر أسلوب المُشاهد السينمائي في التعامل مع قضايا الأمة، طبعاً بحجة أن هذا هو الوقت وهذا ما أظهره الله فيه. جبرية وسلبية لعينة تجعل القلوب مظلمة والمعيشة ضنكا وصورة لجهنم حيث إرادة الناس غير ظاهرة وغير فعالة كما قال "كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أُعيدوا فيها" فلا قيمة لإرادتهم في جهنم لأنهم كفروا بقيمة وقوة إرادتهم في الدنيا فعاقبهم بنفس فعلهم "إنما تجزون ما كنتم تعملون".

الله يُظهر الأمور لك وبك. وإرادتك تجلي إرادته كما أن علمك تجلي علمه وقوتك مستمدة من قوته.

هل كل ما يحدث في الوقت هو شيء يجب علينا الرضا به؟ لا ونعم، وبين لا ونعم يدخل بعض الناس الجنة ويعيش بعض الناس في جهنم. "لا" ببساطة لأن الظاهر الآن قد يكون فساداً ومنكراً وظلماً وجهلاً وهذه كلها أمور أمر الله والفطرة تأمر بمحاربتها سواء ظهرت في نفسك أو في غيرك. فالمنكر هو شيء "أظهره الله في الوقت"، لكن الله أمرنا بالنهي والانتهاء عن المنكر والتناهي عنه. فأن تكفر بفطرتك التي هي قرآنك الذاتي ورسولك النفسي ودين ربك المكتوب في قلبك، وأن تكفر فوق ذلك بكتاب الله ورسوله، من أجل تبرير كل حادث في الكون

بحجة أنه ما أظهره الله فيه، فهذا عين الجهل. لكن في المقابل "نعم" لأننا إذا نظرنا في كل حادث في الوقت سنجد له منفعة ما وحكمة ما تقتضي وجوده، ومن هذه الزاوية نرضا به ونقبله. كأن تكون في حالة سيئة لكن يلهمك الله بعض من حكمتها فتقبلها من جهة الحكمة وإن رفضتها من جهة الصورة. العالم له ظاهر وباطن وقد يكون حكم الظاهر ضد حكم الباطن "فضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" الرحمة ضد وعكس العذاب لكن كلاهما متعلق بنفس الباب، الباب هو العالم وقد يكون باطنه عكس ظاهره، وأنت لك ظاهر وباطن بل ظواهر وبواطن، فببعض ظاهرك قد تمدح الشيء وببعض باطنك قد تذم الشيء. نعم العالم معقد ومن أراد الاختزال وتسخيف الوجود فقد يظن أنه يريح عقله لكنه في الواقع يدمر نفسه من حيث لا يشعر.

"لم يدع من الجهل شيئاً" لماذا؟ لأن العلم إما علم بالله وإما علم بالعالم وإما علم بالإنسان. فالذي يريد إحداث غير ما أظهره الله في الوقت جاهل بالثلاثة. لأنه جهل حضور الله وتدبيره لكل شيء بحكمته العليا ويظن الجاهل أنه أحكم من الله فيريد غير ما أراده الله. ولأنه جهل حقيقة ظواهر العالم وأنها بقضاء وقدر سابق وما ينزل هنا إلا ما هو مكتوب هناك وانتهى الأمر، فإرادة غير الظاهر جهل بطبيعة العالم. ولأنه جهل مقامه كإنسان فإنه عبد الله وخليفته فيجب أن تتوافق إرادته مع إرادة ربه حتى يحقق مقامه الإنساني، والمغايرة في الإرادة مبنية على توهم أنه صار رباً من دون الله ومستقل عنه. فلم يدع من الجهل شيئاً لا بربه ولا بخلقه ولا باستخلافه.

الوقت زمن الروح حيث لا زمن بل وعي مشاهد مجرّد. لا زمان ولا مكان ولا تغير في ذات الوعي. الوقت صافي لأنه لا يحدث فيه شيء إذ الحدوث تغير وهنا لا تغير ذاتاً. من وصل إلى مقام الذات هذا، وهو وراء الفكر والشعور والخيال والحس، من غاص في عمق وجوده واخترق حجبه ووصل إلى ذاته فهذا لن يحدث فيه شيء بعد ذلك إلا بتدبير خاص وعناية خاصة من الله تعالى به "وهو يتولى الصالحين". هذا الواعي يصبح دائم اليقظة والمراقبة، والله يكون به وهو يفعل به، ولا يبقى له تصرف من عنده هواه ومزاجه، بل يصبح رضاه رضا الله وغضبه غضب الله، كما جاء في الحديث القدسي "كنت يده التي يبطش بها". بالنسبة لهذا الولي يصبح ما أظهره الله فيه في الوقت هو المرضي لا غير، ولا ينظر وراء ذلك أصلاً لأن عينه الأولى ثابتة في ذاته المجردة وعينه الأخرى تراقب ما يُظهره الله في إرادته وفكره وشعوره وخياله وحواسه. إلا أنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ولنفعه ورفعه، لذلك يُسلّم به

تسليماً. فالجهل بعضه يتعلق بالجهل بالذات وبعضه بالجهل بالمُحدثات والمتغيرات، فالجاهل التام الذي لم يدع من الجهل شيئاً يجهل كلاهما.

كلام الأولياء قد يكون للأولياء فقط ومن هم على درج الولاية، فإذا أخذه من لا هم له إلا الدنيا فسيحرفه ويزيده ضلالاً على ضلاله. وقد رأينا ولا زلنا نرى الكثير في هذا الزمان يأخذون كلام الصوفية لتبرير ما هم عليه من ذل وقهر ناتج عن استعباد الظالمين لهم، أو لتخدير حسهم الفطري برفض واقعهم المزري بكلام الصوفية الجميل والغيبي والأخروي والسحري. كلام الصوفية قد يكون أعظم دافع للثورة وقد يكون أعظم مانع للثورة. بدءاً بثورتك على نفسك، ورفضك لواقعك، وسعيك لتبديل أحوالك من أصغرها لأكبرها، مروراً بكل ما حولك دنيا وآخرة. كلام الصوفية يشفي السالكين المجاهدين أنفسهم وغيرهم بالحسنى والحق والعدل والإحسان، لكنه أيضاً يُمرض النائمين ويزيدهم بلاءً. إلا أن التدقيق في كلامهم سيكشف لك عن أوجه التحريف فيه وسوء استغلاله من قبل النائمين والظالمين على السواء. خذ مثلاً هذه الكلمة موضوع حديثنا هذا. قد تأخذها على أنها حكمة تدفعك للعلم بالحقائق وجعل إرادتك متوافقة معها مما سيجعل نفسك أقوى وإرادتك أنجح، وقد تأخذها كأفيون يجعل ترى الدنيا كحُلم يديره غيرك ولا شيء لك فيه إلا المشاهدة حتى يأتي عزرائيل ويوقظك من النوم. في الحالة الأولى ستكون عاقلاً فعالاً من خلفاء الله في الأرض، وفي الحالة الأخرى ستكون غافلاً واهماً مستضعفاً راضياً باستضعافه ولو جاءك ألف موسى ليأخذك إلى الأرض المقدسة سترفض وتبقى تحت أقدام آل فرعون لأنهم الذين أظهرهم الله في الوقت وموسى لا يرضى بقضاء الله وقدره! لا أعرف شيء أقوى من الدين يقوي الضعيف ويرفعه، ولا أعرف شيء أخبث من الدين حين يبرر للمستضعف قهره وينوّمه. فالحذر الحذر من تحويل وسيلة الذكر والفكر إلى وسيلة الغفلة والكفر.

...

كان بعض الأولياء يُفضِّل المرض على الصحة لأن المريض يعاف الطعام فهو لا يُطعَم فيكون مشابهاً لله تعالى من هذا الوجه وهو يطلبون التشبه بالإله بحسب وسعهم. قرن الله المرض بالألم لأن المرض يجرّده عن الطبيعة فالألم يردّه للطبيعة والعبودية فيتوازن ولا يطغى.

...

إذا وجدت معركة، الصف الأول فيه الحرية مع صعوبة العيش والصف الآخر فيه العبودية مع سهولة العيش، فاختر الصف الذي فيه الحرية فإنه المنصور وحتى العيش سيكون أجمل فيه.

...

قالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته استاذ سلطان بخصوص منشورك فيما يخص الجوهر والمظهر اود ان اخذ رأيك كأخ واستاذ في موضوع انا في بريطانيا ويتصل بي اقاربي بين فترة واخرى من اجل مساعدة بأمر مالي وايضا وسألتهم لمن ومن هي جهة قالوا انه انفاق في الطريقة الصوفية ولابد من دفع الامر تردد كثيرا وطلبت معرفة قالوا لي يجب عدم السؤال لان الشيخ في حالة مادية صعبة ولابد من الوقوف بجنبه ونتيجة الضغوط المستمرة والله العالم اضطررت بالمساهمة بمبلغ بسيط ، وبعدها وبعد بضع اشهر تم الاتصال مرة اخرى فرفضت ايضا وحاولو الضغط ايضا وذكرت لهم انكم على خطأ ويوجد شي خطأ وقالو لي في هذه المرة المبلغ دين وسيتم استرجاعه فيما بعد الخ. بحكم معرفتكم بالطرق الصوفية ، سؤالي الاول / هل صحيح يوجد انفاق مستمر من قبل المريدين ؟ لاني لا اعرف ولا اريد ان اذكر احد بسوء لان اخاف الله سبحانه وتعالى. سؤال الثاني / ان حاولت ان انبه احد بإن الامر خطأ وهنالك استغلال من قبل البعض وتشويه سمعه الشيخ لاني بصراحة ليس لدي علم ، هل يعتبر هذه الباب غيبة واكون في حرج من الامر ؟ اعتذر جدا عن الازعاج ولكن احب ان اعرف رأيكم ونصيحتكم؟

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله مساعدة عامة المسلمين عمل عظيم، مساعدة علماء المسلمين عمل أعظم، مساعدة أولياء الله أعظم عمل. لكن يوجد نصابين كثر، والنصب باسم المشيخة والتدين كثير، والدجل باسم التصوف أكثر من كثير. لا أعرف حيثيات الموضوع حتى أعطي رأياً مفصلاً. بالنسبة للانفاق المستمر من المريدين على شيخ: ممكن فعلاً موجود. لكن حسبت ما فهمت أنك أنت لست من المريدين له، فما علاقتك بالموضوع؟ لا أعرف تفاصيل أكثر حتى أعطي رأي مفصل. لكن بشكل عام لا يرتاح قلبي لشيخ يأخذ أموال الناس باسم الدين، أو تتم الشحاذة باسمه. فالحذر واجب خصوصاً إن كان الشيخ مجهول أو الانتباه لعل ناس حول الشيخ ينصبون باسمه بدون درايته. الدين والمال مثل الماء والسم إذا اختلطا فالخطر حتمي. فالحذر واجب. لا غيبة في مثل هذه الأمور، بل الواجب التحذير من نصب وأكل المال بالباطل من قبل مشايخ الدين والنصابين حولهم ومعهم.

قالت: اعطوني بيعة ومنهاج للتسبيح للعمل به وطلبت منهم معرفة اكثر عن الطريقة وقالو الشيخ يعتمد على التقييم الظاهري بالانفاق المستمر ؟ استغفر الله العظيم لان لا اريد ان يدخل شك في طريقي وتوجهي لله سبحانه وتعالى لكني اشعر يوجد احد كما تفضلتم من يستغل الامر او غير فاهم بالامر؟ طلبت منهم ايصالنا بحضرة الشيخ ونحن مستعدين لتقديم

اي خدمة بدون اي تردد ولكن للاسف قالو مشغول وانا لم اقم بالتسليم التام للشيخ ؟ ولا اعرف ان كنت انا المخطئة ام هم ؟ مع العلم انا احببت الصوفية وانا ساعية للمعرفة اكثر واحب الاستفادة اكثر واكثر .

قلت: انتبهي من هذا الأمر لو أنا مكانك لاعتبرته نصب أو على الأقل متهم ، قال الله "اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون" ، والله لم يجعل بين المسلمين وبين الرسول ولا حتى صدقة النجوى. هذا الأسلوب الذي تذكريه رائحته نصب صريح. لا تعطيهم لا بيعة ولا مال ولا شيء. واقطعي علاقتك بهم الآن قبل أن تندمي لاحقاً. هذه النصيحة التي كنت سأعطيها لأي شخص عزيز علي إذا سألني.

...

عن القرية التي كانت حاضرة البحر: جاء النهي عن العدو في السبت. هذه شريعة. ثم جاء الحيتان التي لابد من العدو في السبت لأخذها، وحين لا يسبتون لا تأتي الحيتان، فقالوا في أذهانهم "نريد هذه الحيتان لكن لم تأتينا إلا بنحو مخالف للشريعة، فهل نختار الشريعة مع فقدان الحيتان أم نختار الحيتان مع فقدان الشريعة؟ لنختر الحيتان". قالت الآية {حيتانهم} لماذا؟ لأنهم كانوا سيأخذون هذه الحيتان بطريق شرعي لو صبروا على نهي الشريعة، لكن لما لم يأخذوها بطريق شرعي حُرموا بركة الرزق مع عذاب الفسق. الفكرة إذن: الآن عليك بحفظ الشريعة والطريقة، الأمر والنهي، واحذر تقديم أي شيء على الأمر والنهي الإلهي. وسياتيك حظك من رزق الله مع البركة حين يأتي وقته المناسب لك، لا تستعجل ولا تفسق.

...

تغيير موقعك الجغرافي لن يجعلك عبقرياً، والأرض لا تقدّس أحداً كما قالوا في قديم الزمان، لكن حين تشعر بأن محيطك مسالم لك وأنت في سلم معه بغض النظر عن دينك وكلامك ومواقفك السياسية، حينها ستكون أكثر ارتياحاً للتفكير والنظر والانفتاح على الفتوح الربانية. أما أن تتحوّل من أرض إلى أرض فتظن أنك ستصبح شيئاً آخر بذلك فقط فستكتشف عاجلاً غير آجل بطلان ذلك. نعم، قد تهاجر شبراً من الأرض لله فيفتح الله لك من لدنه خيراً عظيماً، هذا حق ومرجو من الله برحمته، لكن هذا لا يعني أن الأرض هي التي فتحت ولكن الله هو الذي فتح.

...

قال: أين تنصحني أن أعيش؟

قلت: أما أنا فأنظر في معايير خمسة. الحرية والملكية والتعددية والمدنية والنظامية.

أول شـيء الحريـة، وأقصد بـها تحديداً الحريـة الدينية والحريـة الكلاميـة. بـمعنى أنك تستطيع أن تدين بما تشاء وتخترع حتى إن شئت ديناً من عند نفسك ولا يعاقبك القانون على ذلك بل يترك لك اختيارك واختراعك. وكذلك تستطيع أن تقول ما تشاء، نعم قد توجد قيود تتعلق بالزمان والمكان والكيفية في بعض الحالات الخاصة التي لا علاقة لها بمضمون الكلام، لكن في نهاية المطاف تستطيع في الدولة نفسها أن تقول ما تشاء وترسل كلمتك بدون خوف بسببها على نفسك ومالك من العدوان. بدون هاتين الحريتين لا أرى قيمة ليس فقط للمجتمع والدولة بل ولا للحياة نفسها كإنسان. لذلك من أجلهما تجوز بل تجب كل أنواع المقاومة من أبردها إلى أسخنها إن لم يندفع عدوان المعتدي إلا بأسخنها. ولا يجوز الخضوع بأي حال من الأحوال للقيود الدينية والكلامية حتى إن كانت "قانونية" جبرية، بل لابد من ممارسة دينك ولو في السر ونشر كلامك ولو بغير اسم ولو بالرمز ولو بين ثقاتك ولو أن تصرخ به في الهواء حين لا يكون حولك أحداً ولا تحبس كلمة ولا تترك شريعة ولا إيمان من أجل إنسان كائناً من كان. فأول معيار هو الحرية الدينية والكلامية. وباستعمال هذا المعيار تسقط جميع الدول العربية و"الإسلامية" وكثير من الأوروبية الشرقية وإن أردت الدقة فكثير من الأوروبية الغربية أيضاً.

المعيار الثاني هو المَلَكية. أي دولة فيها ولو رائحة شيء اسمه ملك، أمير، شيخ، امبراطور، سلطان، شاهنشاه، ولي فقيه، الزعيم، قائد الثورة، الراعي، أو أي تعبير آخر يدل على السلطة المطلقة أو تركّز السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية نظرياً وعملياً أو عملياً فقط في يد شخص واحد أو بضعة أشخاص قلائل غير منتخبين أو حتى منتخبين كهتلر، خصوصاً الملكيات، فهذه الدول امسحها من اعتبارك بالكلية فإن الإنسان لا يمكن أن يكون فيها إنساناً. سواء كانت ملكية مطلقة أو دستورية أو رمزية أو ما كانت. فالملكية المطلقة كدول الخليج، والدستورية كالبريطانية والهولندية، والرمزية كالكندية والاسترالية. اشطبهم من الاعتبار ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. الملكية تعني الجبر والعنف، الآن أو في الماضي والآن، ولا يمكن أن تقوم ولا يمكن أن تبقى إلا بالعنف وبالتهديد بالعنف وببناء ثقافة تحقير لعامّة الناس وإخراج أمور معينة من نطاق النقاش والحوار الاجتماعي والتغيير السياسي السلمي لا أقل شكل النظام الملكي والوراثي. احتكار أراضي وموارد الدولة أمر شائع وأساسي لأن الملكية وما يتبعها تريد أن تعيش وتترفه وإلا لما دخلت في هذا البزنس أصلاً، فلابد من انتشار شيء من الفساد والنهب والقمع بدرجة أو بأخرى بالعنف والهيمنة لا بالتجارة والإقناع. سفلة البشر في كل عصر هم الذين يبنون الملكيات ويقبلون العيش تحت الملكيات طوعاً وحباً. الملكيات كلها مطلقة وتبدأ هكذا، ويبقى بعضها هكذا بينما يضطر بعضها الآخر تحت ضغط قطع رؤوس الملوك كما حدث في بريطانيا مثلاً إلى التنازل عن بعض السلطات للشعب، لكن في نهاية

المطاف يعلم كل حر وعاقل كما حدث في أمريكا أن الطريق الوحيد لإصلاح الملكية هو بإزالة الملكية ومحوها من الوجود. الملكيات في بلاد العرب هي أخبث وألعن صور الملكية التي يمكن تصورها في أي مكان وعبر الزمان، هي الصورة الأكثر فجاجة ووقاحة ودجل وظلم. وهي فوق ذلك ملكية مدعومة بالدين، فإن كانت الملكية نار فإن الملكية المدعومة بالدين هي الدرك الأسفل من النار. ومعظم شكاوى الناس خصوصاً أصحاب النفوس النظيفة والحرة في تلك البلاد راجعة سواء عرفوا أم لم يعرفوا إلى طبيعة النظام السياسي الذي يعيشون تحته معيشتهم الضنك، حتى إن كانوا أثرياء فما بالك إذا كانوا من الأغلبية الساحقة التي لم تشم حتى رائحة أحذية الأثرياء ولا أقول لم تشمّ الثراء. درجة أعلى في جحيم الملكية هي الملكيات الدستورية ذات الطبقة العريضة من "النبلاء" وهم سفلة لا خير فيهم يحتكرون معظم أراضي الدولة ولا ينفعون الناس لا في عقل ولا في يد ونهب أجدادهم هذه الأراضي وورثوها عنهم وهذا كبريطانيا. ثم أعلى درجة في نفس الجحيم تجد الملكيات الدستورية التي ليس فيها نبلاء بتلك السعة والحالة التي عليها نبلاء بريطانيا-يسمونهم نبلاء زوراً والقضية كلها لعينة كما ترى-وذلك مثل ملكيات هولندا والدنمارك مثلاً. ثم فوقهم آخر طبقة من الملكيات وهي الملكيات الرمزية حيث تكون الدولة جمهورية بالكلية لكن لا تزال متعلقة اسمياً وفي بعض الأمور بالملكية ما ككندا التي لا يزال يُقسم فيها الناس الولاء لملكية بريطانيا وسلالتها وخلفائها قبل القسم بالولاء لقوانين الدولة ذاتها، ومع ذلك ستجد آثار الملكية القبيحة وسمومها منفوثة حتى في هذا المجتمع الذي يتعلق ولو بخيط بالملكية ولن تجد فيها الحرية لا الكلامية ولا السياسية التي لدى الناس في الدولة التي لا ملكية فيها مطلقاً لا من قريب ولا من بعيد. باختصار، فِر من الملكيات فرارك من جهنم.

الثالث، التعددية. المقصود التعددية في الأعراق وفي مذاهب الحياة والعيش وفي الألسنة وكل أنوا ع التعددية الإنسانية. المجتمع الذي يهيمن عليه عرق واحد أو ذوي أصل واحد أو ذوي دين أو طائفة واحدة ونحو ذلك لا يكون إلا أقل إنسانية وتفتحاً على الفردية من ذلك الذي ينبني على التعددية ويقبلها ويسعى لها. حين يتعدد الناس تستطيع أن تعبّر أنت عن نفسك وتجد طريقك وتخلق صورة خاصة بك بدون حرج أو بدون حرج معتبر. فالتعددية اعتراف بقيمة الإنسان من حيث هو إنسان وليس من حيث انتمائه لهذا الجنس أو تلك الطائفة فقط. نعم، قد تجد مجتمعاً مبنياً على التعددية وفيه من العنصرية والعصبية الشيء الكثير، لكن سيكون هذا في أفراد وليس في النظام العام ولا حتى الأفراد يظهرونه علناً بأريحية عادةً ومع الوقت وكلما حارب الناس من أجل إقرار التعددية مع المساواة بين الناس وهو جهاد اجتماعي مستمر وليس قضية يوم وليلة وقرار يخطّه شخص. كلما ازدادت الشعوب والقبائل والطوائف والملل

والفرق والأديان والمذاهب والألسنة في أرض، كلما كانت أغنى وأقوى وأفضل وأشرف وأكرم وأعلم. لأن سر وعبقرية وقيمة وقوة كل واحد من هؤلاء سيظهر في هذه الأرض، بينما في غيرها ستجد بعضاً من تلك القوى والفضائل فقط. وكذلك حين يتعدد الناس مع المساواة القانونية بينهم ستبدأ سيئات كل فئة وعصبيتها العدوانية تضطر إلى الانحسار، فيبقى الجانب الحسن ويضعف الجانب السيء وإن بقي منه شيء لكنه يضعف لأنه لا يجد معه قهر الأكثرية وقهر الدولة التابعة له لإجبار الأقليات على الخضوع لها، كما هو الحال في المجتمعات التي لا تعددية من هذا النوع فيها. ثم إذا ذهبت إلى دولة ذات تعددية ستجد أنك تستطيع أن تكون مواطناً حقيقياً فيها أنت وأولادك من بعدك ولو بعد حين، لأن الاسم الذي سيُطلَق على المواطن لن يكون عرقياً ولا طائفياً، مثلاً إن ذهب عربي إلى فرنسا فإنه قد يصبح "فرنسيا" بالجنسية لكنه لن يكون فرنسياً أبداً لأنه ليس فرنسياً بل هو عربي. وأما إن ذهب إلى أمريكا مثلاً فإنه سيصبح أمريكياً مثله مثل أي أمريكي آخر لأن "أمريكي" ليست وصفاً لعرق ولا لطائفة ولا للون ولا لجنس ولا لقبيلة بل هو اسم عشوائي لا يعني بحد ذاته شيئاً ولا يدل على شخص وإنما هو مثل "حجازي" تنطبق على كل من يعيش في الحجاز ولو كان بخارياً أو هندياً أو برازيلياً أو صومالياً في الأصل كالعربي الذي يعيش في الحجاز سيسمى أيضاً حجازي لأنه اسم بقعة جغرافية لا غير. القضية ليست فقط لغوية، كلا، حين يكون الاسم عامّا بهذا النحو فإن أثره فيك سيكون أكبر وانتماؤك أرسخ، وسينعكس هذا على نفسيتك وستجده في حقوقك وحريتك وكيفية عيشك وإحساسك في البلاد، لن تشعر بغربة ووحشة كالتي ستجدها حين تكون وسط ناس أنت مجبور على أخذ اسمهم بدون أن تكون منهم. في هذا الجواب لم أفصّل كل وجه نفع وضرر في كل معيار من المعايير، لكنني أشير إشارات والباقي انظر فيه بنفسك وبحسب تجربتك.

المعيار الرابع، المدنية. المقصود أن تكون السلطة المدنية فوق السلطة العسكرية والعسكرية تابعة لها. حين يكون العسكر فوق المدنيين فالمدنيون عبيد، بكل بساطة. العسكر بشكل عام لا يفهمون إلا لغة العسكرية، وهي لغة عنف وتغيير بالعنف وانضباط وعدم مراعاة المشاعر، لأن مهمة العساكر في الحالة الطبيعية هي تحديداً ممارسة العنف وقهر الخصوم، وهذا أمر محمود في حالة الحرب وحين يتجه لعدو المجتمع الخارجي، لكن حين تتحوّل هذه القوة إلى الداخل وفي حالة السلم فإن الحياة تصبح جحيماً لعله أسوأ من جحيم الملكية من بعض الجهات لأن الملكية أيضاً نظام عسكري دائماً ومبنية على قهر الناس في الداخل بالعنف العسكري والهديد بالعنف العسكري، لكن على الأقل في النظام الملكي السلطة في شخص واحد لكن في النظام العسكري كل عسكري سيكون ملكاً وطاغية صغيراً وكل واحد سيمارس

إرهابه في دائرته الصغيرة المحيطة به وعلى قدّه. ثم في النظام الملكي عادة ما تكون رفاهية العائلة المالكة تجعلها مترفعة عن صغائر مظاهر الطغيان، ليس دائماً لكن عادة، وأما في النظام العسكري العالي على المدنيين فإن كل عسكري سافل ومنحط سيطغى ولو مقابل نيل قروش أو لذة يغتصبها من ضعيف ومستضعفة في قريته. من هنا ورد في بعض الأمثال المصرية العامّية "ابن الحرام يا قوّاس يا مكّاس"، أي ابن الحرام إما أن يكون صاحب قوس بمعنى شرطي، وإما أن يكون مكّاساً بمعنى جامع ضرائب للدولة، وهما القوتين الأساسيّتين للدولة لكن في الدولة العسكرية الطاغية يصبح الشرطي ليس حافظاً للأمن ولكن حافظاً للاستعباد، ويصبح المال ليس ضريبة يختار الناس كيفية وكمية دفعها عبر ممثليهم لكنها مبلغ يجبرون على دفعه مقابل الحفاظ على سلامتهم وكأنهم رهائن مخطوفين يدفعون لخاطفهم حتى لا يعذبهم، فقال المصريون بتحليلهم الفطري أنك إذا أردت أن تعرف أبناء الحرام فانظر وستجدهم يعملون لدى الدولة الطاغية عادةً يقهرون الناس ويجمعون المال لها. الأمريكان مثلاً فهموا هذا ولذلك كتبوا في إعلان استقلالهم أن أحد أسباب ثورتهم على الملكية البريطانية هو تحديداً هذا الأمر أي أن طاغية بريطانية جعل السلطة العسكرية فوق السلطة المدنية، وعكسوا الأمر وركّزوا عليه عبر تاريخهم كله إلى يومنا هذا وضمنوا بقائه هكذا. فابحث عن مكان يكون الجنود فيه خُدّاماً للمجتمع وليس المجتمع عبيداً للجنود.

أخيراً، النظامية. المقصود أن يكون المجتمع كله منظم بحيث لا يوجد شيء في المجتمع إلا ويمكن حلّه عبر نظام واجراءات سلمية وقانونية، وكل مواضيع المجتمع داخلة تحت النظام العام. مثال بارز على عكس هذا الحال هو المكسيك، حيث تعجز الدولة عن جعل كل مناطق الدولة تابعة للنظام المدني ومحكومة بالسياسة العامة، لأن عصابات المخدرات تتحكم في مناطق كثيرة وكأنها دول داخل دول. مثل هذا الحال لا يطاق وهو فوضى سياسية وبالنسبة لأفراد يريدون أن يعيشوا بأمان لا يمكن أن يكون مثل هذا المكان مناسباً لهم، وما عجزت عنه الدولة لن يقدر عليه الفرد ولا جماعة. لابد أن يكون الكل مشمولاً بالنظام ويقدر النظام السياسي العام المدني على الوصول إليه والتحكم به إن شاء، فحتى إن تركه فإنه يتركه ليس عجزاً عنه ولكن اختياراً لذلك وبناء على إرادة الناس بتركه حراً خارج مجال السلطة السياسية وتحكمها والحكومة وسيطرتها.

هذه خلاصة المعايير الخمسة التي إن بنيت عليها مجتمعاً سيكون عظيماً، ولا يوجد شيء في المعايير الخمسة "طوباوياً" ولا "خيالياً"، بل كل المعايير موجودة في الأرض اليوم سواء كانت متفرقة أو مجتمعة، بدرجات مختلفة. وكلها معايير معقولة بنفسها ونفعها يغلب ضررها،

وعدم وجودها سيخلق حالة قبيحة لا تخفى على من يعاني بسبب غيابها. الحرية والمساواة والتعددية والمدنية والنظامية.

قال: فما هي الدولة التي تجمع الخمسة؟
قلت: أمريكا.

قال: هل توجد دولة أخرى؟
قلت: لا.

...
"واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر"
حوتك حوتك فلا تحارب ربك. سمّى الله حوتهم حوتهم "إذ تأتيتهم حيتانهم"، فلو صبروا لآتاهم رزقهم بالحلال ومع صلتهم بالله عبر شريعته، لكن لما استعجلوا هلكوا وكان حظّهم حوت دنيوي نهايته البراز.

...
أحب الحجاز، لكن أحب الحرية أكثر.

...
الخلوة لمعرفة فرديتك وموتك، أول حقيقتين عن النفس. ويخاف من الخلوة من يخاف من الرجوع إلى ربه وهي حقيقة راسخة في النفس بغض النظر عن وعي الذهن بها. لذلك قال "كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون" وهي آية جذر الخلوة وجذر جذرها.

...
رفض صحابة طاعة ولي أمر عيّنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، لأن الأمير أمرهم بأ يقذفوا أنفسهم في نار. الآن، يزعم بعض شيوخ الطغاة أن من الشريعة وجوب طاعة المتغلّب القاهر الذي تستتب له الأمور كما يقولون، إن هذا الرأي هو أكبر وأسوأ نار أوقدها إنسان لأنها تجذب الطغاة وتقيمهم وتجعل سفك الدماء وقهر المسلمين عملاً مشروعاً في حال نجح واستتبت الأمور ولو مؤقتاً لرئيس العصابة المسلحة، فقد أوقدوا ناراً للحرب الأهلية والأممية بمثل هذا الرأي اللعين. فحتى لو أن الله ورسوله فعلاً قد أمروا بمثل هذا فيجب عصيان هذا الأمر لأننا لم نتبع النبي إلا فراراً من النار، فما بالك وهؤلاء الملاعين من المشايخ الدجالين يقولون بأن هذا "بإجماع أهل العلم"، أي ليس آية ولا حتى حديث صحيح عن النبي بل ولا حتى من فعل "الخلفاء الراشدين". عصيان هذا الأمر لو كان شرعياً واجب، فما بالك وهو غير شرعي أصلاً.

...
الهوية الأحدية تمحق الأسماء الحسنى، والأسماء الحسنى كثرة تخفي الأحدية، الجامع البرزخي بينهما الحافظ لهما معاً هو اسم "الله". فإنه بالألف الأولى يعبّر عن مقام الله الواحد، وباسم "لله" يحفظ الأسماء الحسنى إذ "لله الأسماء الحسنى"، وبإشارة الهاء الأخيرة سواء سكنّتها أو ضميتها تشير إلى الهوية الأحدية "هو" فتحفظها. إذن اسم "الله" هو الاسم الجامع الحافظ لكل معنى حق. لذلك "اذكروا الله".

...
(رسالة إلى أ.عبد القادر الحسين)

تحية طيبة أ.عبد القادر

أنا سلطان عداس. عربي من الحجاز. استمعت للكثير من حلقاتك وسعدت بوجود رجل يردّ على الوهابية ورأيت شدتك وتصلّبك في الرد عليهم شكر الله سعيك. لكن لاحظ أنك انتصرت على الوهابية في معارك كثيرة إلا أنك خسرت الحرب معهم. الوهابية عقيدة سياسية خلاصتها ما يسمونه "طاعة ولي الأمر"، هذا لبّ الوهابية وسبب نصرة الدولة السعودية لهم إلى الآن بغض النظر عن قطع بعض فروعهم إلا أن الأصل الوهابي الأكبر هو عقيدة طاعة ولي الأمر، نحن نعلم ذلك يقيناً وأحسبه لا يخفى على مثلكم. أما مسائل التجسيم ونحوها فهي في الحقيقة من فروع الوهابية بالنسبة لتطبيقها العملي. كل شيء في الوهابية قابل للأخذ والرد، وبعضهم يرد على بعض، إلا قضية وعقيدة طاعة ولي الأمر التي هي عندهم من أهم واجبات الدين وأصول العقيدة. خلاصة عقيدتهم هذه هي أن المتغلّب الذي يقهر الناس وتستتب له الأمور تنعقد له البيعة شرعاً. هذه العقيدة اللعينة والدموية التي أوقدت أكبر نار للحرب داخل الأمة فضلاً عن خارجها، وهي لب عقيدة الطغاة في كل زمان ومكان ليس فقط من المنسوبين والمنتسبين للإسلام والقرءآن، هي نفس العقيدة التي وجدتك تقول بها أنت أيضاً وغيرك من "أهل السنة والجماعة" الذين ملأتم الدنيا ضجيجاً نفع الله بكم في الرد على الوهابية وكأنكم لا تعلمون هذا وتحسبون أن الوهابية حقاً ومن يدعمهم في الواقع يبالون بشيء جوهري ما وراء عقيدة "طاعة ولي الأمر". وأنت تقول بنفس العقيدة تماماً، وبنفس المنطق، بل لعلك تزيد عليهم في الاحتجاج بمثل سيء ضربه الغزالي والاحتجاج كأنك من الجبرية بدلاً من الاحتجاج بالواجب عمله بغض النظر عن ما يحدث في الواقع. فخلاصة كلمتي الأولى لك هي هذه: أنتم (أهل السنة والجماعة) والوهابية في صف واحد في الحقيقة وفيما يتعلّق بالواقع

العملي للناس، لكنكم تختلفون عنهم في فروع. إلى أن تغيّر هذه العقيدة الدموية والجاذبة للطغاة والمبررة لهم فتستطيعون تسمية أنفسكم ما تشاؤون إلا أن "أهل السنة والجماعة" و"الوهابية" كلهم في خندق واحد وهو خندق فرعون ومن معه.

ثم وجدتك تحتج للعقيدة الدموية الجاذبة للطغاة جذباً ذاتياً (وأي طاغية يستورع عن ذبح المسلمين إذا عرف أن شيوخهم يعلّمون ناس عقيدة مضمونها أنهم إذا "استتب لهم الأمر" سيصبحون نواب الله في الأرض لأنهم أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وسيرتفعون إلى منصب الاقتران بالرسول في القرءآن العظيم وهو شرف لم يكن يحلم به ولا أبو جهل نفسه وقد يسّرتموه أنتم للناس)

أ. وجدتك منسوباً بالدم لأهل البيت الظاهريين من آل فاطمة، ووجدتك تنسب نفسك لأهل البيت الروحيين من الصوفية. حسناً. أسألك: ألم يقشعر بدنك حين جعلت أنت والوهابية "أولي الأمر منكم" الذين قرنهم الله بالرسول الطاهر المقدس، جعلت مصداقهم الطاغية الظالم الفاسق الفاجر المغتصب القاهر؟ أترى لو قرن شخص اسمك أنت أو اسم والدك باسم رجل فاجر أو امرأة فاسقة هل كنت سترضى بذلك لنفسك؟ فكيف صح عندك الاعتقاد بأن الله تعالى قرن برسوله بلا فصل أشخاص أنت تعترف أنهم قد يكونوا من الظالمين والفاجرين والفاسقين والمغتصبين.

ب. وجدتك ذكرت سيدنا الحسين، النور المنير، الموصول بالحبل الإلهي والنبي الكريم، الحر العالِم. ثم ذكرت أنه خرج على يزيد لكنك ادعيت أن الله أراد أمراً غير ما أراده الحسين أو ما معناه أن الله لم يرد نجاح خروج الحسين وظن الحسين أُبطله خطأ ظنّه. أسألك وأنت منسوب للتصوف: أنت تعلم أن بعض الأولياء لا يتحرك إلا بإذن حي من الله ومن رسوله، وبعض الأولياء يعرف ما يريد الله وتنكشف له الغيوب، فكيف صح عندك أن يكون سيد الأولياء الحسين يتحرك بهذا النحو الخاطئ أو الفاشل والعياذ بالله. انظر في كتاب كرامات النبهاني وسترى أن بعض "صغار" الأولياء (صغار بالنسبة لمقام الحسين) كان موفقاً مسدداً. كيف وقد عرفنا أن قرب النوافل يجعل الله يد العبد ورجله ولسانه، فماذا عن قرب الفرائض، وأحسب أن الحسين كان ممن يقيم الفرائض والنوافل. فلما لم تستطع لهذه الاعتبارات وغيرها أن تنتقد الحسين على خروجه على يزيد فررت من رمضاء اتهام الحسين إلى نار الاعتقاد بأن مجرد كون الحسين ولد النبي ومن أصحاب العباء سيشفع له عند الله إن كان خارجياً من خوارج

الزمان. وكأن الخارجي إن كان من أولاد النبي لا يصبح خارجياً. وكأنكم لم تقرأوا قصة نوح مع ابنه. لو كان تعريف ولي الأمر على ما تقولونه أنتم والوهابية، وكان تعريف الخروج ما تقولونه، فلا مفر من اعتبار الحسين من الخوارج، وأما المحاباة بالأنساب فلا يخفى عليكم أن "من أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه". فأنت وذاك. والنواصب حينها سيكونون أعقل وأشد إنصافاً منكم.

ج. سمعتك أكثر من مرّة وبنحو وتكرار عجيب تقول أنك لا تتدخل في السياسة ولا تهمك السياسة.

أوّلاً، لا يوجد إنسان-شيخ أو عربيد، أمير أو فقير-إلا وله دخل بالسياسة، حتماً وقطعاً ولا مفر من ذلك. والذي لا يشارك في صنع سياسة بلاده وفاعل في السياسة فإنه حتماً مصنوع ومفعول به، بل هو فاعل من حيث كونه مُسلّماً وقابلاً ومنفذاً لسياسة غيره، فلابد من فعل سياسة أو قبول سياسة والقبول بالشيء مشاركة لفاعله كما تعلمون من القرءآن والحديث، فلم قتلتموهم" لم تنزل في قوم قتلوهم فعلاً لكنهم رضوا بمن قتلهم فاعتبرهم الله قتلة مثلهم، "لا تقعدوا معهم" فجعل القعود الذي فيه صورة وشبهة قبول كلامهم علامة على كونهم مثلهم إنكم إذا مثلهم"، وفي الحديث الشريف نفس المعنى وبيان لنفس المبدأ، "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار" ولم يتفرعن كل أحد لكن لأنهم أطاعوه صاروا مثله ومعه، فقبولكم بالسياسة القائمة والادعاء أنكم لا تتدخلون في السياسة هو بحد ذاته موقف سياسي وتتدخل في السياسة. هذا أوّلاً.

وثانياً، السياسة هي التصرف في النفوس والأموال، وأنت نفس ولديك مال، فحين لا تتدخل" في السياسة فكأنك تقول "لا أتدخل في كيفية تصرف الآخرين (الحكومة القائمة هنا) في نفسي ومالي" وهو موقف أقل ما يقال فيه أنه استعباد ذاتي، وقبول بالعبودية بعد الحرية الفطرية.

ثالثاً، ماذا تفعلون في كمّية الآيات والأحاديث (وهي مصادر الدين) التي فيها أبعاد سياسية قطعاً، بل كل أحاديث "طاعة ولي الأمر" أنما هي دين" لكنها أيضاً "سياسة"، فالسياسة عندنا معشر المسلمين من صلب الدين، فقد رفع الله السياسة إلى رتبة الدين، فبدلاً من ذلك وجدتك تفرّ من السياسة وكأنك انقلبت مسيحياً يفصل بين السياسة والدين (بل حتى المسيحية لم تفصل حقاً بين السياسة والدين لكن تلك قضية أخرى ومغالطة تاريخية شائعة)، الذي يهمنا أن ديننا ليس فيه هذا الفصل بين الدين والسياسة الذي تقول به.

رابعاً، فهمت أنك حنفي ووجدتك تمدح الدولة العثمانية مع نقد طفيف لها، حسناً، انظر في الأحناف عبر التاريخ من قضاة العباسيين إلى "شيوخ الإسلام" في الدولة العثمانية، ألم "يتدخلوا" في السياسة؟ ألم يفتوا في قضايا هي قضايا سياسية في الحقيقة لكنهم بيّنوا "حكم الشرع" فيها. فلا مفر من الاعتراف إما بأنهم ساسة وإما بأنهم اعترفوا بوجود اختلاط ما بين الدين والسياسة إلى حد أنهم شاركوا لا أقل في صناعة الوجه الديني من السياسة المحلية والدولية.

خامساً، في بعض حلقاتك وجدتك تتحدث فعلاً في قضايا سياسية، وتنتقد بعض سياسات الحكام كانتقادك بل تحريمك لحفلات الرقص التي أقرّتها سياسة الدولة السعودية الجديدة. قد تقول "لكن هذا أمر ديني"، فنقول "وما معيارك إذن للأمر السياسي؟" هذا ما لم أفهمه منك ولا أظن أنك تستطيع تبيينه ووضع معيار فيه إلا وستدخل فيه حتماً ما يعرف القاصي والداني أنه سياسة. ثم نفس حلقتك في موضوع الخروج على الحكام، هذه الحلقة التي أشرت إليها في العنوان وغيرها، هي حلقة سياسية بامتياز، أسوأ أنواع السياسة! سياسة تبرير الطغيان القائم، والاحتجاج بالجبرية التاريخية (ما يحدث في التاريخ حجّة على المؤمنين بالمبادئ وليس المبادئ والمصابرة عليها هي الحجّة للعمل في التاريخ)، وتنويم الناس بحجة أن الثورات كلها كما تقولون فشلت ولم يأتي نظام حاكم عادل (وهذا بحد ذاته مشاركة منك في السياسة عبر وسم كل الدول "الإسلامية" إلى يومنا هذا بأنها دول ظالمة كذكرك كون العباسيين أظلم من الأمويين وهلمّ جرّاً)، إلى آخر ما أشرت إليه في حلقتك هذه وغيرها، فهذا كله مشاركة فعالة وقوية بل وخطيرة وسيئة في السياسة. أنتم شيوخ "السنة" (ولا أبرئ بقية المذاهب لكن كلامي معك) تشاركون في السياسة عبر تبرير الحكومة القائمة كأن الحكومة القائمة حقيقة وجودية كالشمس والقمر صنعها الله ولا مفر من تغييرها ولا طريق لذلك. ويا ليت أنكم اكتفيتم بالسكوت، لكنكم جعلتم الدول القائمة شرعية مع قولكم واعترافكم بأنها مغتصبة وظالمة ويديرها فسقة وفجار وظلمة وطغاة (ولا أدري إن كنتم ستصلون يوماً والعياذ بالله إلى ما وصل إليه وسبقكم إليه الشيخ الوهابي الذي برر زنا الحاكم نصف ساعة على شاشة التلفاز). هذا كله كلام منك في السياسة وتدخّل بأسوأ أنواع التدخّل، ولو أنك فعلاً لم تتحدث في السياسة لكان أهون ولكان ذنبكم السكوت عن الحق، وأما الآن فأنتم تبررون الظلم وفي ميزانكم كل هذا فأنصحكم بالتوبة العاجلة غير الآجلة (وبما أننا ذكرنا التوبة، أنصحك بالتوبة من تبريرك قتل الحلاج قدّس الله نفسه فقطرة من دم الحلاج في ميزانك ستفسده، ولا يغرّك ما ذكره بعض الغابرين الذين كان الطغاة يدعسون على رؤوسهم وكانت لهم هفواتهم وكبواتهم.)

سادساً، "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض"، وفي بعض الكتاب وفي الحديث الشريف وجزء كبير من السيرة النبوية سياسة، وسياسة "راديكالية" إن شئت، من حرية التعبير التي كان النبي يمارسها في مكة بشتم الآلهة وعيب الأديان وانتقاد الآباء والطعن في القرشيين، إلى حرية الدين في "لكم دينكم ولي دين" مع تفريق الكلمة وتشتيت الأمر، إلى غير ذلك من أمور داخلة في صلب السياسة والجوانب الاجتماعية من الدين (عصيان مدني علني من قبل سلمان الفارسي حين شك في أن عمر بن الخطاب الأمير قد نهب قطعة قماش، كمثال شهير). لو أردنا أن نعدد الأمثلة والأحكام السياسية في القرءآن والحديث بل وفي الفقه وفي التاريخ لوضعنا مجلدات كبار ولا أظن هذا يخفى عليكم. فآمن بالكتاب كله، وليس فقط ببعضه. وأما إن كان الدين عندك هو مقولات في سماء الذهن لا تنزلات لها في أرض البدن، فهذا أمر آخر من السوء بمكان ويشبه الإلحاد بالدين لكن بلفّة ومن وراء حجاب.

خلاصة هذه الكلمة: السياسة عندنا معشر المسلمين والمؤمنين هي جزء من الدين. شئنا أم أبينا. إلا إن كنّا سنكفر ببعض الكتاب وننكر بعض الحديث ونتنكّر وكأننا لا نعلم تاريخ النبي وحركته في الأرض هو وأصحابه من بعده وما فعله ولا يزال يفعله الشيوخ مثلكم من تدخلات في السياسة مع التلفظ-فقط تلفظ-بأنكم تنكرون التدخل في السياسة. الذي يملك نفسه وماله، ويملك لسانه ودينه، لابد له من التدخل في السياسة، لأن السياسة أي سياسة شرقاً وغرباً إنما هي قرارات رجال يريدون التحكم في نفوس وأموال وألسنة وأديان الناس، وأي اعتزال للسياسة خصوصاً في هذا الزمان الذي وصلت أيدي الدولة فيه لكل شيء إنما يعني استسلام واستعباد ذاتي وتسليم النفوس والأموال والألسنة والأديان لأولئك الأشخاص الذين تسميهم أنت أيضاً بالظلمة والفسقة وتوجب طاعتهم والسكوت عليهم شرعاً. ولو كان شرعاً لوجب الكفر به، فكيف وهو ليس بشرع بل الشرع ضدّه. وقد عصى الصحابة أمر صحابي أمّره رسول الله عليهم في سرية حين أمرهم بالدخول في النار بحجّة أنهم إنما فروا إلى النبي من النار، وأي نار أعظم من نار جعل أنفسنا عبيداً لحفنة من الظلمة والفجرة والفسقة من اللصوص المتغلبة بل كثير منهم من المنافقين والملاحدة إن لم يكن جميعهم والله أعلم وإلا فكيف يتجرأ مسلم على تلك الأعمال والمسلم "من سلم المسلمون من لسانه ويده" وهؤلاء لم يسلم منهم الناس لا من لسانهم ولا من يدهم لا حقيقةً ولا مجازاً.

د- قلت في حلقتك المشار إليها في العنوان وهي التي في ٢٨ مارس بالنص {الإكراه مانع من نفوذ التصرفات أصالةً، ولكن إذا استتب الأمر لفلان من الناس وإن كان فاسقاً فعند أهل السنة والجماعة، يعني قد يكون بداية البيعة بالإكراه ثم استقر له الأمر وصار الأمر إليه

والشرطة والجيش والدنيا كلها بيده وانتهى الأمر بعد ذلك فأهل السنة والجماعة لا يجيزون الخروج عليه وإن كان ظالماً. المعتزلة يخرجون عليه والخوارج كذلك يخرجون عليه لأنهم ما سُموا خوارج إلا بذلك. أهل السنة لا يجيزون الخروج عليه، لماذا؟ حتى لا تكون مفسدة أكبر. يقول الإمام الغزالي رحمه الله "مثل من خرج على الإمام الظالم ليقيم العدل مثاله كمن هدم مصراً ليبني قصراً". لأن المفاسد والدماء، جيوش ورقاب وبعض الناس يقتل بعضاً ويكونون عرضة للأجنبي الكافر المعتدي ليتدخل في بلاد المسلمين، فارتكاب أخف الضررين أولى، فيُرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما}.

أوّلاً، لاحظ أن هذا كله كلام سياسي. لا يوجد فيه ولا آية ولا رواية. وأقصى ما فيه هو ضرب مثل للغزالي مع ذكر قاعدة فقهية. وأنت تعلم أن ضرب الأمثال بمثل هذه الطريقة يصلح للاحتجاج للشيء ونقيضه، هذا على فرض سلامة المثل أصلاً والمثل هنا غير سليم ولا مناسب للمقام كما سنذكر لاحقاً إن شاء الله. وأما القواعد الفقهية فتستطيع أن تقول ما تشاء وتأتي له بقاعدة فقهية، بل نستطيع أن نستعمل نفس القاعدة لتبرير الثورة على الظالمين من حيث كون أخف الضررين هو الثورة على الظالمين وسنأتي بحجج مثل بل أقوى مما ذكرت وأنت لم تذكر إلا بعض مصالح الدنيا لتبرير الخنوع للظلم هنا، ونستطيع أن نأتي بمصالح الدنيا ومصالح الآخرة-وهي الأولى بالاعتبار-لتبرير الثورة على الظالمين لإقامة العدل ولو حدث ما حدث في مصالح الدنيا، فإن كنت ترى الثورة حَرّاً فنار جهنّم أشد حرّاً لو كانوا يعلمون ومن ركن إلى الظالمين فهو في النار وأي ركون أعظم من عدم الاكتفاء بالخنوع للظلم-مع اعترافك بأنه ظالم-بل المكابرة والمزايدة على ذلك بالقول بأنه من "أولي الأمر منكم" الذين أمر الله بطاعتهم، وغير ذلك من اعتبارات منها دنيوياً تخفيف حدّة الظلم فحتى لو افترضنا أن الظالم وجيشه سينتصر مؤقتاً على الثورة القائمة ضده فإن رؤيته ومعاناته وجيشه من قيام الناس عليه سيجعله أو قد يجعله-ونحن نظن ونخمّن كما تظن وتخمّن أنت والغزالي هنا-يخفف من حدّة ظلمه لأنه يرى ماذا سيفعل الناس معه ولو بعد حين، وغير ذلك من اعتبارات دنيوية وأخروية تجعلنا نرى أو قد نرى أن أخف الضررين هو الثورة على الظالمين وليس الخنوع لهم وتأليههم عملياً بجعلهم مفروضي الطاعة بأمر الله ولو فعلوا ما فعلوا كأنهم صاروا ممن لا يُسأل عمّا يفعل.

ثانياً، وهي نقطة الاشتراك بينكم وبين الوهابية، الاشتراك الجوهري المهّم، نعم أنتم تقولون الله ليس بجسم وهم يقولون هو تعالى جسم، لكن كلاكما يقرّ الظالم على الظم واقعياً وعملياً ويعمل على تركيع الناس له وجعل الركوع له عقيدة دينية وليس مجرد رأي سياسي بأن الأصلح والأسلم التسليم له إن "استتب له الأمر" كما تقولون. وهذا نصّ لأستاذ من المعهد العالي

للقضاء وهو من آل الشيخ ابن عبد الوهاب وقد أجاز الكتاب بعد قراءته عليه مفتي السعودية أيضاً، وهو من كتاب طاعة ولي الأمر، ص ١٦، حيث يذكر الطرق الثلاثة-مغفلاً طبعاً طريقة النبي-في تحوّل الإنسان إلى إمام تنعقد له البيعة شرعاً فيقول {وإما بالغلبة والقهر حتى تستتبّ له الأمور، فتنعقد له البيعة، وهذا بإجماع أهل العلم}. لاحظ أنه أيضاً لم يذكر لا آية ولا رواية بل اكتفى بذكر {إجماع أهل العلم} ويبدو أن الحسين ولا ابن الزبير بل ولا حتى الأمويين ولا العباسيين ولا العثمانيين ولا أحد ممن حارب وقاتل وسفك دماء المسلمين وغير المسلمين لكي يحصّل استتباب الأمور الذي تذكرونه كشرط لانعقاد البيعة له أو التسليم له تسليماً بل استسلاماً بعد ذلك. هذا لبّ الوهابية ولب "أهل السنة والجماعة" من الناحية العملية التي تهمّ الحياة في الأرض. نعم بعد ذلك يمكنكم الاشتغال وإشغال الناس بكون الله جسم أو ليس بجسم، وافتعال معارك كلامية حامية الوطيس وكأنكم على طرفي نقيض.

ثالثاً، قد أقررت في بداية كلامك بالأصل الصحيح والذي عليه أدلة القرءان والسنة وعمل الأحرار من الصحابة بل وعمل الأحرار وعقيدة الأحرار شرقاً وغرباً، وهو أن {الإكراه مانع من نفوذ التصرفات} لكن بدلاً من الاستمرار والبناء على هذه القاعدة الشريفة الكريمة الشرعية والإنسانية على السواء-والشريعة الحقة هي الإنسانية الحقة "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم"-، فإنكم انتكستم على رؤوسكم (والمعذرة عن هذه اللغة القاسية، فإن العقائد التي تعلّمونها أقسى لفظياً وواقعياً من ألفاظي الوصفية) فزدتم قيد {أصالة} حتى تبيحوا بعد ذلك وضع استثناء يعدم البناء على رؤوسنا ويخرب بيوتنا بأيدينا وهو قولك {ولكن إذا استتب الأمر لفلان من الناس}. فنحن والله معنا سنؤاخذ ونخاصم كل شيخ سنّي ووهابي على السواء، الآن ويوم الحساب، أقرّ بالحق واعترف به ثم حرّفه بعدما عقله وهم يعلمون. فالأصل عليه الأدلة كلها شرعاً وفطرة بل وسياسة وعقلاً، لكن الاستثناء الهادم والموقد لنار الحرب ونار الظلم باسم الله والشريعة-ويا ليتكم اكتفيتم باسم السياسة والمصلحة حتى جعلتم سياستكم أنتم ورأيكم أنتم في السياسة والحرب هي عين الدين وإرادة رب العالمين وسيد المرسلين-هذا الاستثناء مرفوض ولا دليل عليه حقاً لا أقل لا دليل يقاوم ويرجح على أدلة الأصل الموجبة لرفض وضع مثل هذا الاستثناء.

رابعاً، فكرة استتاب الأمر التي تقولون بها أنتم والوهابية خاطئة. فمعنى هذه الفكرة واقعياً ونظرياً هو كأنكم تقولون لكل رئيس عصابة مسلحة وقبيلة وطائفة: انظروا جيداً لأنفسكم قبل الخروج وذبح المسلمين والناس فإنكم إن فشلتم في عملية الانقلاب والغزو العدواني سنسمّيكم خوارج لكن إن نجحتم وقهرتم المسلمين سنسمّيكم ولاة أمر فرض الله طاعتكم. أو باختصار: طالب الدولة إن فشل فهو خارجي لعنه الله وإن نجح فهو ولي أمر وفّقه الله! فأي

بعث وأي تحريك وأي إثارة لكل عصابة مسلحة أشد من هذا للقيام وطلب الدولة وذبح المسلمين والسعي في التغلب عليهم وقهرهم. لذلك تاريخنا كله إلى يومنا هذا، إلى هذا اليوم بالضبط، هو تاريخ خروج وانقلاب ودماء وسعي للتغلب والقهر بين طوائف مختلفة وقبائل وعوائل وأحزاب كلها تسعى لهذا الهدف الذي وضعتموه وبررتموه وربّيتم الناس عليه منذ القدم. الذي يعلم أنه إن "استتب له الأمر" سيتحوّل من خارجي ملعون أو معتدي مجرم إلى ولي أمر مفروض الطاعة من الله ومقرون برسول الله ألن يحاول ذلك وقد فعلوا ولا زالوا يفعلون وسيفعلوا مادام المسلمين يتعلمون مثل هذه العقيدة وينفذونها ولا يعملون على عكسها ويؤسسون ويضعون أسس راسخة لمنع ذلك. عقيدة الاستتباب هذه جاذبة للطغاة أشد من جذب المغناطيس للحديد. (أرأيت، نحن أيضاً نستطيع أن نضرب الأمثال لا موظّف نظام المُلك فقط رحمه الله، وأمثالنا خير من مثله وأدق والواقع يشهد). أنت افترض أنك طاغية عندك جيش، وأمامك مجتمعين، الأول تعلم أن الناس فيه يعتقدون بعقيدة الاستتباب هذه، والآخر تعلم أن الناس فيه يعتقدون بأنهم سيثورون ويقاومون ولو فنوا جميعاً عن آخرهم ولن يرضخوا للظلم أبداً (على طريقة بعض أسلافنا الخوارج كالحسين الذي قال "هيهات منّا الذلّة" وضحّى بنفسه وكل عائلته وأصحابه من أجل أن يبقى حرّاً لا يرضخ للظالمين لا هو ولا حتى أولاده الصغار)، فانظر وقل لي يا رئيس العصابة المفترض، أي المجتمعين ستغزو؟ فحتى إن افترضنا جدلاً-وهو افتراض باطل قطعاً-أن الشريعة فعلاً تأمر بعقيدة الاستتباب هذه، فالحق أنه يجب علينا رفضها وكتمها عن الناس لا أقل عن رؤساء العصابات والقبائل المسلحة في العالمين حتى لا نجذبهم إلينا كما يجذب الخراء الذباب إليه. فهب أنه لدينا عقيدة خرائية هذه-وهي عقيدة خرافية كما رأينا لا خرائية فقط-فدفنها أولى بالنظافة وسلامة الجو من إظهارها وإعلانها وتجديد تعليمها كما تفعلون أنتم والوهابية في هذا الزمان (كتاب طاعة ولي الأمر الوهابي هذا كُتب في ٢٠٢١م، وحلقتك أنت نزلت بالأمس، فشكر الله سعيكم جميعاً على رعايتكم ورحمتكم بأمة محمد...يا زلّة القَدَمِ). هذا وجه. وجه آخر أن استتباب للأمر قضية نسبية في الواقع، فلا يستتب الأمر إلا بعد استسلام الناس، كما ترى الناس اليوم في أكرانيا وروسياً مثلاً، فطالما أن الأكراني يقاوم فلا استتباب إلا بعد الاستسلام، والاستسلام قد يكون جزئياً ومؤقتاً ثم يستمر بعد ذلك بظهور جديد ومقاومة جديدة فالخسارة الجزئية لا توجب الاستسلام المطلق فخسارة أُحد لا تعني عبادة أبي جهل فرعون الأمة من جديد لكن يأتي بعدها ما يجبرها. وهكذا في كل حركة مقاومة للطاغية المعتدي. ولم أجدك لا أنت ولا الوهابي المذكور سابقاً قد حدد بالضبط معاني الاستتباب ولا موجب الاستسلام بنحو معقول أو شرعي، وهي كلها آراء سياسية ونفسانية كما ترى لكنكم تلبسون العمامة-أو الغترة بلا عقال-حتى يظن الناس أنكم

تتكلّمون عن الله ورسوله، والواجب كان أن تخرجوا حاسرين وتكلّموا الناس عن ما في رؤوسكم أنتم وتعلنوا ذلك بدلاً من التحدّث باسم الله ورسوله لستر رأيكم السياسي الضعيف هذا. تقول أنت هنا عن الاستتباب {وصار الأمر إليه والشرطة والجيش والدنيا كلها بيده وانتهى الأمر} ونسيت أن تقول "واستوت على الجودي" لا أدري لماذا نسيتها، فبما أن {الأمر إليه..والدنيا كلها بيده وانتهى الأمر} فقد شعرت أنك تتحدث عن الله وقضايا مصيرية تكوينية وجودية مطلقة سرمدية خالدة ملكوتية جبروتية. لا يا أستاذ. لا يوجد {انتهى الأمر} حتى تنتهي الدنيا. كانت "الدنيا" (ليس "كلها" بل بعضها فقط) بيد عثمان فصارت إلى علي ومعاوية، ثم من السفيانيين صارت إلى المروانيين، ثم من الأمويين صارت إلى العباسيين، ثم تفرقت في أيدي ملوك، وفي الغرب أشياء وفي الشرق أشياء، وكل واحد في حدوده يرى الدنيا في يده وانتهى الأمر لكنه لم ينتهي وقامت أحزاب مسلحة ونازعت من في يده الأمر كله كما تقول ثم تحوّل الأمر وجاء الفاطمي وجاء العثماني، ثم حصل ما حصل وفعلوا ما فعلوا ثم صارت إلى السعوديين ثم وثم وثم. لا يوجد "انتهى الأمر" حتى يستسلم الناس ويسكنوا. نعم أنت تريد أن تسكن وتختبئ في بيتك ولا تفعل شيئاً أكثر من تبرير ما هو قائم، حسناً هذا رأيك أنت وموقفك أنت، فلا تعلّم هذا لعامة المسلمين وتعودهم على الكسل والاختباء والرضوخ لمن تسمّيه أنت ظالم وفاسق ومُكره. لا ينتهي الأمر ما دامت الدنيا، ولا يستقرّ لأحد شيء إلا وتزلزل بعد فترة بسبب حركة الناس من الداخل أو الخارج أو كلاهما. فأسألك الآن مثلاً: قبل مائة سنة كان "الأمر" بيد الشريف حسين في الحجاز وكان "مستقراً" له وبيده الشرطة والجيش، فماذا حدث؟ هل قال عبدالعزيز آل سعود "انتهى الأمر" أم سعى وقاوم واحتال وتحرك وقتل وذبح وفعل وفعل حتى تحوّل الأمر وصار إليه، فالآن ما رأيك، هل انتهى الأمر وآل سعود هم فراعنة الجزيرة إلى الأبد أم يمكن أن يتغيّر الأمر؟ بماذا ستفتي؟ الآن الشرطة والجيش بيدهم، و"الدنيا" (مرة أخرى ليس "كلها" لكن بعضها فقط وقليل منها ومتاع الدنيا قليل على أية حال) بيدهم، لكن هل هذا يعني انتهاء الأمر؟ كلاً، وانظر جيداً، كان الأمر موزعاً بين أمراء فسعى أمير واحد شاب غير معروف من قبل ولا سلطة ولا سابقة له في شيء، فصار " الأمر" إليه أو يكاد، لم يحدث بالسحر لكن بالسعي، وتغيّرت الدنيا بعمل الناس، لكن أنت تفكّر بمنطق جبري استسلامي مشلول الإرادة، تنظر من بعيد وتعتبر ما يفعله الناس وكأنه من فعل الكواكب والنجوم أو فعل الله بالكواكب والنجوم، هي كلها أقدار لا يد للإنسان فيها، ولو فكّر الأمير الشاب الحالي بمثل تفكيرك كان يجب أن يقول "الأمر والدنيا كلها بيد أعمامي وأبناء عمي وأنا غير مشهور ولا قوة لي فالأفضل أن أسكت وأختبئ وأسلّم لأمر الله"، لكنه لم يقل بذلك بل سعى وتحرّك ونجح إلى الآن لا أقل داخلياً، فهل النجاح مطلق؟ كلا، قد ينقلب

الأمر ويذهب في ستّين "دهية"، وقد ينجح نسبياً ويصير ملكاً لستّين سنة، لكن هذا لن يتحدد كما تتحدد فصول الشتاء والصيف بل سيتحدد بعمل الناس. مثال آخر، في مصر، هل تجيز الخروج على السيسي؟ قد تقول "كلا، الشرطة والجيش والدنيا كلها بيده"، إلا أنها لم تكن في يده قبل سنين وكان مجرّد ضابط لا يجد إلا الماء في ثلاجته حسب ما قال، لكنه سعى ودبّر وانقلب ونجح نسبياً على من كانت الشرطة والجيش والدنيا كلها بيده كما تقول، فبناء على قولك كان يجب عليه أن لا يفعل شيئاً في السابق فلما كفر بفكرتك وعقيدتك السياسية وتحرك وسعى ونجح تحوّلت أنت وصرت الآن تبرر له ذلك وتجعله ولياً للأمر مفروض الطاعة لأن الشرطة والجيش والدنيا كلها بيده. إذن تفكيرك وتفكير من هو مثلك هو كشخص يشاهد فيلماً سينمائياً ومهمته الوحيدة هي أن يصفق لكل ممثل وعند نهاية كل مشهد، إلا أنك لا تشارك في شيء وتصفّق لكل من يفوز، كما قال بعض سلفكم "نحن مَع مَن غلب" هي عقيدة العبيد المنهزمين الانهزاميين كما قال عبيد فرعون من قبل "لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين". بتعليمكم هذا أنتم تشاركون مشاركة فعالة جداً، أنتم "أهل السنة" بصفّكم المتمصوف والوهابي على السواء، في مرض المسلمين وشلّ إرادتهم وجذب الطغاة عليهم. نعم قد لا يكون بيدكم وحدكم دواء المسلمين، لكن هذا التعليم وهذه العقائد هي حتماً من أسباب تجذير وترسيخ مرض المسلمين الأكبر الذي هو عبودية الطغاة منذ أكثر من ألف سة، لا أقل المسلمين من "أهل السنة" وإن شارك البقية في ذلك بوجه أو بآخر في معظم الأحيان.

الحاصل: لا يستتب الأمر حقاً إلا حين يريد ويُسلّم الناس بالأمر. ولا يريد ويُسلّم الناس بالأمر إلا إن فضّلوا العبودية على الحرية، والركون للظالمين على قطع دابر الظالمين ولو بعد حين. فلا يستتب الأمر واقعياً بأي معيار موضوعي في الواقع الخارجي، بل هو شيء راجع للناس وعمل الناس. وسعي ساعة في تغيير الظلم ولو بتحبير ورقة وقول كلمة خير من الدنيا وما فيها وقد سمّي النبي كلمة الحق عند سلطان جائر "أفضل الجهاد"، فيبدأ جهاد الجائرين بالكلمة وسينتهي عاجلاً أم آجلاً بتغيير واقعي، لكن حين تنقطع كلمة الحق فقد صرنا كلنا من الجائرين بقبول الجور، وأنت بكلامك هذا ومن هو على مثل طريقتك تقطعون كلمة الحق هذه وتنهون جهاد الظالمين حتى بالكلمة. وإن شئت أن أخبرك عن رجال فسأحدّثك عن رجال قالوا كلمة الحق في وجه سلطان جائر وتحرّكوا وغيّروا، وهم رجال الثورة الأمريكية الذين قالوا في إعلان استقلالهم في وجه من كانت الشرطة والجيش والدنيا كلها بيده كما تقول وكانت في يده دنيا لم يجد مثلها ولا رئيس عمل الغزالي نفسه، حين قالوا بأن الغرض من الحكومة إنما هو تأمين حرية وحقوق الناس فإن لم تفعل وطغت فمن حق الناس بل من واجب الناس السعي في تغيير هذه الحكومة ولو بالثورة عليها. هؤلاء قالوا كلمة الحق وأفلحوا، والآن

هؤلاء "الخوارج" صارت دولتهم سيدة دول العالم وأكثر الدول استقراراً داخلياً في تاريخ البشرية (ولهذا سرّ آخر اسمه "أمرهم شورى بينهم" قد نتحدّث عنه في مناسبة أخرى). وصارت هذه الدولة تضع تحت أقدامها كل الدول التي تعتقد بعقيدتكم الاستعبادية المشلولة الإرادة والميتة القلب هذه. وليس هذا من عجائب الدنيا، فإن مَن يعمل بأمر الله ورسوله ولو كان لا ينتسب صورياً للإسلام سينتصر انتصاراً عزيزاً.

خامساً، أنت تخوّف الناس من الخروج على الحاكم الظالم، وتذكر القتل بين الأهالي وغزو الأجنبي. هذا التخويف باطل وإن كان حقاً، فكيف وهو باطل. أما القتل فإن الظالم الذي تدعو للرضوخ له سيكون هو أول من يقتل ويجعل الناس تعيش ما هو أسوأ من القتل وهو الخوف والرعب والذل والقمع، وأنا وأنت ممن يعيش تحت الظالمين نعلم جيداً هذا الإحساس اللعين وغيرنا من المسلمين يعلمون ويذوقون الأمرّين بسبب ذلك. انظر في كل بلاد المسلمين خصوصاً العربية منها وستجد الظالم هذا ومن تحته من جنوده يسومون الناس سوء العذاب، بشكل دموي وغير دموي، فبماذا تخوّف الناس، بشيء حاصل فعلاً. نعم تخوّفهم بما هو أسوأ مما هم عليه، فليكن، على الأقل يعاني الظالم ومن معه كما يعاني الناس أيضاً، لكن أنت بعقيدتك هذه تريد المعاناة للناس مع سلامة رأس الظالم وأهله وجنوده. لعلك تشير إلى سوريا. أنا أعلم وضع سوريا وأنا سوري الأصل من الطرفين، وأعرف سوريا منذ الصغر وأذهب إليها دائماً. نعم الوضع الآن سيء حقاً، لكن إذا نظرت ستجده كان سيئاً أيضاً من قبل من وجوه كثيرة، والانقلابات والتعذيب والتخويف والرعب والنهب والفقر الشديد كان ولا يزال. وإذا نظرت في الذين ثاروا ستجد الكثير منهم يحملون أفكاراً وعقائد طغيانية مثلها مثل التي لدى الذين ثاروا عليهم، لا أدري كم نسبتهم لكن يبدو أنها كبيرة. ثم إن كان لابد من وجود المعاناة فلتكن معاناة الظالم والمظلوم، لا معاناة المظلوم فقط. والسوريون بالخروج مارسوا حقهم الفطري والرباني والطبيعي على السواء، نجحوا أم فشلوا. هب أنهم نجحوا في إزالة نظام الأسد، ماذا كنت ستقول؟ (ولا يزال الأمر مفتوحاً، فقد تكون الجولة الحالية انتهت، لكن الدنيا لم تنتهي بعد). فماذا إن نجحوا كما نجح المصريون بإزالة نظام مبارك، وقد رأينا شيوخ من أمثالكم في مصر لم يجدوا القوة والجرأة على التحدّث في السياسة ونقد الحكومة إلا في زمن حكومة الإخوان، حينها لم يكتفوا بالحديث عن الخريدة البهية وأحكام الحيض ودقائق الرياء، بل تحدثوا في السياسة حتى وهم في أروقة الأزهر، لكن بعد أن جاء العسكر من جديد وداسوا الناس، رجعوا إلى تعليم الناس عدم الحديث في السياسة ودخلوا في دقائق باب العجب من موسوعة إحياء علوم الوسوسة بالدين. نعم، أنتم تلعبون سياسة بنحو جيد، وموقفكم هو "نقف على الحياد، ومن ينتصر نقول له وفقك الله أنت ولي الأمر، وهكذا كل من ينتصر يكون معنا، أما

إذا أخذنا موقفاً فقد ننتصر وقد ننهزم" هذه خلاصة موقفكم السياسي، نعم موقف سياسي لكنكم تلبسونه لباس الدين الإسلامي الذي لم يعرف إلا الفعالية والقوة ولم يعرف سياسة الانهزاميين المتفرجين هذه. بناء على موقفكم هذا ينبغي تغيير قوله تعالى "فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله" بل يجب أن تقول "فانتظروا وانظروا مَن ينتصر وباركوه". وكذلك تغيير قوله تعالى "أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا" لتصبح "أذن للذين يُقاتلون بأن يسكتوا وينتظروا الموت أو التغيّر بالصدفة". وأما "فلا تركنوا إلى الذين ظلموا" فهي آية مزعجة جداً لرؤوس فيها عقيدة الانهزام هذه، لكن تغييرها سهل اجعلوها هكذا "اركنوا إلى الذين ظلموا"، هذا أنسب لعقيدتكم. وأما ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأخذ على يد الظالم، فلا داعي لتغييره لكن فسّروه بطريقة سيدكم معاوية-رضيتم أنتم عنه- الذي فسّر حديث قتل عمّار بأن علي هو الذي قتله، ليصبح تفسير حديث الأخذ على يد الظالم معناه هكذا: خذوا يد الظالم لتقبّلوها وتضعوها على رؤوسكم. وإن وجدتم أي صعوبة في تفسير الآيات والأحاديث المزعجة من هذا القبيل فلا داعي لتكلّف ذكر أمثال سيدنا موظّف نظام المُلك، ولا تحليلاتكم السياسية التخويفية، لكن ابعثوا بها إليّ وإن شاء الله أفسّرها لكم تفسيراً يتناسب مع موقفكم. هذا بالنسبة لتخويفك من القتل.

وأما بالنسبة للتخويف من غزو الأجنبي، فهو أسوأ من التخويف من القتل الذي له شيء من الواقعية القريبة. فمن البداية، الغزو غزو والعيش تحت الظلم ظلم وظلمات ظاهراً وباطناً، فأن يغزوك أجنبي ظاهر العداوة والكفر أهون من وجه من أن يغزوك منافق ظاهر العداوة والنفاق بل والكفر أحياناً (إن استعملتم نفس معايير أو شبيه بمعايير تكفيركم العامّة لتكفير "الخاصّة" و "الأئمة"). فأن يغتصب المرأة عربي أو عجمي، مسلم أو يهودي، هو اغتصاب في نهاية الأمر، واغتصاب القريب أسوأ وأشد على النفس من اغتصاب البعيد. بل الأجنبي لأنه أجنبي سيضطر إلى مراعاة الناس لعلمه بأنهم سيبقون أعداء له ما بقي، ولعل احتلاله يوحّد الناس ويجمعهم كما فعل في شتى بلاد العرب في التاريخ القريب، لأنهم سيجتمعون على عداوته بنحو أسهل وأيسر. لكن حين يأتي شخص "يحمل راية التوحيد" كما فعل الوهابية مثلاً الجزيرة، فهذه فتنة أعظم وأكبر من لو أتى البريطانيون صراحةً وحملوا راية الصليب الأحمر بدلاً من بعث عميلهم. ثم قد حدّثنا النبي وأحسبكم تؤمنون بذلك، أنه لن يستأصل هذه الأمة غيرها ولن يسلّط عليها عدو من غيرها بل سيكون بأسها بينها، بناء على ذلك يجب أن نهتمّ بالعدو الداخلي ونحسب حسابه أكثر بكثير جداً من العدو الأجنبي الذي حتى إن أتى-كما أتى فعلاً ولا يزال-فإنه لن يستطيع أن يفعل ولا معشار ما فعله ويفعله وسيفعله مَن يظهر الإسلام بالمسلمين. فأنت تخوّف من عدو ينبغي أن لا تخوّف منه، وتبثّ الاطمئنان تجاه عدو

ينبغي أن لا تطمئن إليه، حسب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ثم انظر في تاريخنا وسترى أن الماضي كالحاضر كله قيام للمسلمين على بعض وثورات وانقلابات وغزوات داخل الأمة، ومع كل ذلك لن تجد أن هذا كان هو السبب في حصول غزو خارجي إلا نادراً، والغزو الخارجي لم يفلح حقاً في الأمة لا في الماضي ولا في الحاضر. فغزو الأجنبي ليس المشكلة حقاً، بل غزو المسلم للمسلم هو المشكلة حقاً. وعقائدكم هذه لا فقط تجيز غزو المسلم المسلم بل تحثّ عليه ضمنياً بضمان مشروعية الغزو واحتلال المسلم المسلم بشرط النجاح. كأنكم تنهون عن سرقة البنوك، إلا إن نجح السارق بالافلات من الشرطة إلى حين، فحينها يجب الكف عن البحث عنه واسترجاع ما سرقه وتركه ليتمتع بغنيمته بسلام وأمان وصفاء. (ما رأيكم في أمثالي، ألا تقاس بأمثال الغزالي بل تفضل عليها إن أردت إنصافي).

سادساً، احتجاجك بالقواعد الفقهية أسلوب بارد وضعيف. لأنك تعلم أن القواعد الفقهية تصلح لإثبات الشيء ونقيضه عبر استعمال قاعدة لضرب قاعدة أخرى، وكذلك تصلح لإثبات الشيء ونقيضه عبر استعمال نفس القاعدة مع ربطها بوقائع وتكهنات مختلفة. مثلاً، تأتي أنت بقاعدة "ارتكاب أخف الضررين" فأردّ أنا عليك بقاعدة "الضرر يزال" (وتعلمون أستاذ أن قاعدة "الضرر يزال" أكبر من قاعدة "ارتكاب أخف الضررين" فإن "الضرر يزال" من القواعد الخمس الكبرى الأصلية عند كلاً من السيوطي الشافعي وابن نجيم الحنفي، لكن قاعدة "أخف الضررين" من فروعها، والأصل أولى من الفرع بالاحتجاج عقلاً). أو قد تأتي أنت بقاعدة "ارتكاب أخف الضررين" وتذكر برأيك الشخصي أن أخف الضررين هو الخضوع للظالم بحجّة حصول معارك دموية واحتمال غزو الأجنبي، فأرد أنا بنفس القاعدة تماماً لكن أذكر رأيي الشخصي المختلف عن رأيك وهو أن أخف الضررين مقاومة الظالم بحجّة تنفير الطغاة عن أمّتنا من الأساس الطاغية المحلي والأجنبي على السواء وكذلك بحجّة أولوية الحرية والعدل على العبودية والظلم دنيا وآخرة، وبحجّة أن العيش تحت الخوف والرعب في الدولة الظالمة هو قتل للنفس كل يوم بدلاً من القتل مرة واحدة أثناء المعركة، وبحجّة أن الطاغية وجنوده سيقتلون الناس ويعذّبونهم فعلاً طوال فترة حكمهم و "الفتنة أشد من القتل" (ومن معاني الفتنة التعذيب، "فتنوا المؤمنين والمؤمنات" والتعذيب حقاً أشدّ من القتل)، وكذلك بحجّة تحريف الدين ومسخ عقول المشايخ والعامّة على السواء وكتم ما في كتب الدين حقاً والتاريخ بسبب الخوف من الظالمين (كمثال لطيف، راجع درس شيخك علي جمعة في شرح الأشباه للسيوطي، وانظر كيف تغيّر وجهه ولم يعلّق على قول السيوطي في المقدّمة-بالرغم من إسهابه في غير هذا الموضع-إذ قال عن الفقهاء "وهم الملوك، لا، بل الملوك تحت أقدامهم، وفي تصاريف أقوالهم وأقلامهم". انظر كيف تغيّر وجهه ولم ينطق بحرف فيها، علماً أن هذه الفقرة

تصلح لبناء دولة للمسلمين خير من كل دولة شهدوها حتى الآن إن أخذناها بأبعادها المختلفة. لكن أحب منكم أن تحاولوا نشر هذه الكلمة للسيوطي وتعلنوها وتعلّموا المسلمين قولها في وجه ملوكهم، ويا ليت تبعثونها لوهابي لنجرّب ماذا سيحدث له إن قال لآل سعود أنه يجب أن يكونوا تحت أقدام آل الشيخ، هذه تجربة لطيفة، أو أن تقول أنت أن أردوغان يجب أن يكون لا أدري تحت قدمك أنت ممكن، أو السيسي تحت قدم علي جمعة، سمّوا الحلقة "الملوك تحت أقدام الفقهاء" حتى نتابعها بشوق إن شاء الله)، وعلى هذا النمط مقابل كل تخويف وهمي أو حقيقي تذكرونه نستطيع أن نأتيك بعشرة أمثاله وخير منه وأكثر تفصيلاً منه بل وسنردّ على أمثالك بتفسير أحسن مما تأتي به أو مثله. ثم القواعد الفقهية لم توضع لتكون مصدراً مستقلاً لاستنباط الأمور وإنما وضعت كنوع من التذكير بالرابطة الفكرية بين المسائل المشتتة، وإلا فكل قاعدة لها استثناءات كما تعلمون جيداً لأن لكم دروس فيها. فإذن، لا أصل الاستشهاد بالقواعد الفقهية ينفعكم هنا، ولا القاعدة التي استعملتموها لأنه يوجد ما يناقضها مما هو مثلها أو أولى منها بالاعتبار، ولا بالطريقة التي نزّلتم بها القاعدة على الواقعة محل النظر لأنه توجد طرق أخرى لتنزيلها تؤدي إلى غير النتيجة التي استنتجتموها.

خلاصة هذه الكلمة: كلامكم كله من أوله إلى آخره ظلمات بعضها فوق بعض. ما فيها من حق يوجد حق آخر يعارضه بل ما هو أحق منه بالاعتبار، وما ذكرتموه من باطل وهو الغالب فهو باطل صريح أو فيه شيء من الخفاء لا يحتاج إلى كثير بحث لكشفه والرد عليه. علماً أن هذه الفقرة هي العمودالفقري لنظريتكم السياسية التي تسمونها عقيدة "أهل السنة والجماعة". وقد استمتعت لهذه الحلقة وغيرها من قبلها تشيرون فيها إلى نفس هذا المعنى لذلك أطلت النَّفَس فيه.

ه-عن الخوارج من الصحابة. ذكرت الحسين وابن الزبير وابن الأشعث، وأن هؤلاء "رأوا ما يسوغ لهم شرعاً" الخروج على الظالمين في عصرهم، لكن أخرجت الحسين من ما تعتبره أنت وصمة الخروج على الظالم بحجّة أنه "حفيد رسول الله" و "من أهل العباء الذين زكّاهم الله ورسوله" وبناء على ذلك تستنبط أنه "يستحيل" أن يكون ضالاً في خروجه هذا. هب أننا سلّمنا برأيك في الحسين، فماذا عن ابن الزبير وابن الأشعث؟ ليسوا من أحفاد الرسول ولم يغطّيهم النبي بعباءة النور؟ لم أجدك أجبت عن هذا كما أجبت عن الحسين. فإن قلت أنهم " رأوا ما يسوغ لهم شرعاً" هو جوابك عن ابن الزبير وابن الأشعث، فما هو هذا الرأي الشرعي إن كان الخروج على الظالم الذي استتبت له الأمور ممنوع في الشريعة الإلهية حسب قولك؟ كيف يكون رأياً شرعياً و "يسوغ لهم شرعاً" الخروج إن كان الخروج ذاته مخالف للشريعة

عندك؟ هذا تناقض مستحيل الحل. إلا أن تقول أنه توجد أسرار في باطن الشريعة اكتشفها ابن الزبير وابن الأشعث ورأوها هم ولا يستطيع من بعدهم لضعف أبصارهم رؤيتها، فهاتوا برهانكم. فهنا أقررتم بوجود شيء يسوغ شرعاً الخروج على الظالم، فبيّنوه لنا إن كنتم تعلمون وإن كنتم لا تعلمون ف"لا تقف ما ليس لك به علم"، وإن كنت ممن يعرف الحق بالرجال ولأن " الصحابة" فعلوا شيئاً فلابد أن يكون لهم مسوغ شرعي وإن لم نعلمه بالتفصيل فهذا دين آخر لا أعلمه ولا أريده أصلاً ورجم بالغيب، إلا أنك مجبور بإقرارك هذا لا أقل على قاعدة الإنصاف أن تفترض وجود مسوغ شرعي عند المؤمنين عموماً إذ "ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً" يوجب ذلك أيضاً فإن وجدت خارجياً من المسلمين والمؤمنين فافترض فيه كما افترضت في غيره أو لا أقلّ ينبغي لهذه الشبهة أن تمنعك من الطعن عليهم وإعطاء الفتاوى للظلمة وللعامّة لذبحهم على أنهم "خوارج".

ثم ذكرت النعمان ومالك الذين اشتهر عنهما دعم بعض خوارج عصرهم. أما النعمان فتسرعت في التشكيك أو نفي كونه دعم خوارج عصره، هذا مع اشتهار القول بالسيف الذي لم يصبر عليه بعض فقهاء عصره على القول به ومع اشتهار دعمه لبعض الثوار في عصره، لا أدري لعلك لأنك حنفي تريد نفي وصمة دعم الأحرار عن مذهبك وتلك وصمة شرف كانت لأبي حنيفة وتريد أنت نزعها عنه، وأما مالك فتركته في أول قولك في الموضوع ولا بأس فهو غير حنفي المذهب. ثم بعد ذلك فصّلت الرد وقلت بأن أقصى ما فعلوه هو أنهم "كفّوا عن أذيتهم"، ولا أدري معنى هذا الكلام، وهل كان لأبي حنيفة ومالك قدرة على أذية أولئك الثوار حتى يكفوا عن أذيتهم؟ أم تقصد أنهم لم يفتوا ضدّهم وكان هذا هو الكفّ عن أذيتهم؟ (إن كان هذا رأيك، فاعمل مثلهم وكفّ عن أذية الثوار في زمنك بتقرير عقيدة الخنوع ووسم الثوار على الظلمة بأنهم خوارج مارقين من الدين). وأما مالك فقوله في عدم بيعة المُكرَه مشهور وتعرّض للضرب من أجلها، وجئت أنت لتحرّف التاريخ المعروف خدمةً لَمن بالضبط؟ راجع نفسك وانظر فإنك لا تخدم بهذا إلا الظالمين أنفسهم الذين تسمّيهم أنت بذلك أيضاً.

ثم ذكرت أن ابن الزبير أولى من مروان، وأنه هو وابن الأشعث وسعيد بن جبير ومن معه من الصالحين "اجتهدوا"، هذه الكلمة السحرية التي تضعونها حيث تشاؤون لإخراج من تشاؤون من ما تشاؤون، وتمنعونها عمّن تشاؤون لإدخال من تشاؤون فيما تشاؤون. حسناً. هؤلاء "اجتهدوا"، الحمد لله لم تقل "كوشفوا" أو "رأوا في المنام". فبما أنهم "اجتهدوا" فهو رأي، وغالب الظن يكفي فيه، وهو نظر فكري. حسناً، بيّن لنا، ما هو هذا الاجتهاد وما هي شروطه وضوابطه، حتى نعرف ونميّز مَن قام به ممن لم يقم به، فمن اجتهد مثل اجتهادهم كان أيضاً صالحاً وجاز له الخروج على ظلّام عصره مثلهم. ألم يقل شيخ مذهبك "هم رجال ونحن

رجال" إن وصلت النوبة إلى ما بعد عصر الصحابة، حسناً، فقد ذكرت سعيد بن جبير ومن معه وهؤلاء ليسوا صحابة، فهم رجال اجتهدوا، وقد نسبت رأيهم إلى الاجتهاد ولم تذكر النصوص التاريخية الموجودة بين أيدينا التي تبيّن رأيهم حقاً وما هو اجتهادهم هذا. ففصّل لنا وبيّن لنا فإن السكوت في مثل هذه المواضع واستعمال لغة الإبهام والإجمال هو بحد ذاته من السياسة والسياسة الخبيثة التي ينبغي البعد عنها.

ثم ذكرت أنه تبيّن للأمة أن ضرر الخروج المسلّح هذا أكبر من نفعه. لا أدري عن أي "أمة" تتحدث. فالأمة من ذلك العصر إلى عصرنا هذا لم يزل فيها ثوار وخوارج وانقلابات وانشقاقات وقيام دول وسقوط دول وقيام عوائل وقبائل وسقوط عوائل وقبائل، وانفصالات وتحزبات ومؤامرات من المسلمين على مسلمين، سنة وشيعة وإباضية وقل ما تشاء. كان ولم يزل كل هذا في "الأمة". بالسلاح وبالقلم وبالدعاء، وبكل أنواع الخروج ومحاربة الظالمين. حتى كان بعض أولياء الله في مصر يفتخر بأنه أهلك عدد هائل من الظالمين بدعائه وهو سلاح الأولياء الأكبر. فإذا كان هذا هو حال الأمة الذي تشهد عليه أوضاعهم الواقعية وحركتهم الفعلية ولسانهم العملي فضلاً عن النظري في بعض الحالات، فمن أين جئت أنت لتتنصّب نفسك وكيلاً متحدثاً باسم الأمة لتقول أنه تبيّن للأمة ضرر الخروج المسلّح وأن ضرره أكبر من نفعه. لم يزل السيف مشهوراً في الأمة ومن بعض الأمة على بعضها من يوم فارقت النفس المقدسة للنبي جسده الطاهر إلى يومنا هذا، مرّة باسم الردة ومرة باسم الظلم ومرة باسم البدعة ومرة باسم الشرك ومرة باسم التجديد ومرة باسم المهدية ومرّة لأن السلطان العثماني رأى شيخ صوفي في منامه أن شجرة ستخرج منه وستكون كذا وكذا، وهلم جرّاً. هذا واقع الأمة. أما ما ذكرته أنت فلا أدري من أين جئت به، أم أنك نظرت في قلبك فوجدت الأمة كلها هناك؟ الأمة أوسع منك ومن بعض المشايخ مثلك الذين يعيشون كلهم إما تحت الظلم وإما تحت الخوف من الظلم وإما تحت ترقّب الظلم وإما تحت إرادة العودة إلى أوطانهم الأولى التي يتحكم فيها الظلمة وإما وإما من الاحتمالات الغارقة في الظلم وظلماته بدركة أو بأخرى. تعال إلى بلاد الحرية الدينية والكلامية، ثم انظر بقلب صافي في كلام الله ورسوله، بل انظر في قلبك وستجده أصفى ولن يخرج منك مثل هذا الكلام إن شاء الله. أنت تتحدث من منطق الخوف، ومنطق الخوف سيحرّف الدين. قد تقول "أنا لا أخاف إلا الله"، لا، أنت لست أقوى ولا أشجع من موسى الذي فرّ من فرعون وقال "ففررت منكم لما خفتكم" ولا حين قال "إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى" بعد الرسالة، ولا أنت خير من النبي وأصحابه. الخوف طبيعي، عدم الخروج من الخوف والسعي في ذلك هو غير الطبيعي. لذلك بمجرّد ما يختلف الوضع السياسي عندكم ستختلف نظرياتكم أو لا أقل سيختلف تطبيق نظرياتكم بدرجة أو بأخرى. الدين سيتحرّف

أسوأ تحريف تحت الخوف. ثم سمعتك تفسّر رأي الأمة التي لم توكّلك هذا فقلت "حينما جرّبت الأمة مرّتين ثلاث مرات ووجدت الأمر على غير ما تهواه الأمة" حينها قررت ترك الخروج على الظالمين. أقول، مرّة أخرى هذا تفسير باطل تاريخياً وواقعياً لأن الأمة كما بيّنت لك وكما تشهده بعينك وأنت الآن في تركيا على ما أظن ولست في سوريا لأن "الأمة" قررت أن تخرج على عائلة الأسد وحاشيته الفاسدة الظالمة. لكن هب أن كلامك صحيح، فإن صحة كلامك يدل على سفالة هذه الأمة وخورها وضعفها وتفاهتها ولا تستحق لا من قريب ولا من بعيد وسام " كنتم خير أمة أخرجت للناس" ولا تكليف هذه الآية وتشريفها، لأن الذي يجرّب الأمر على قولك "مرتين ثلاث مرات" ثم ينكسر وينشل ويخنع لا يستحق حتى اسم الرجولة والعقلانية فضلاً عن أن يكون أسوة الأمم و "خير أمة"، إذا كان الذي اخترع اللمبة جرّب نحو ألف مرّة على ما يقال وصبر حتى نجح، فأي أمة تافهة هذه تجرّب أمر ماذا؟ أمر حريتها! أمر دينها وضميرها وكرامتها، أمر العيش تحت العدل والاختيار، تجرّبه "مرتين ثلاث مرات" ثم تقرر " حسناً، انتهى الأمر، جرّبنا وفشلنا، الله يريدنا أن نبقى في هذه الحالة اللعينة إلى يوم نلقاه". لعنة الله على هذه الأمة إن كانت فعلاً تفكّر هكذا وكان هذا هو أكبر همّتها. الحمد لله أنها ليست كذلك والتاريخ كله يشهد على هذا والواقع كذلك. فإذا كان هذا هو رأيك في الأمة، فتلك جريمة معنوية أخرى ارتكبتها وعقيدة فاسدة أخرى نشرتها.

سمعتك تقول أن الأمة ب"اليقين التدريبي" (الذي جاء بعد "مرتين ثلاث مرات") اكتشفت حقيقة أن "الشرطي الظالم خير من الفوضى". هذا الاختيار ما بين "الشرطي الظالم" و " الفوضى" هو نفس الاختيار الذي يستعمله كل طاغية شرقاً وغرباً ويخوّفون به الناس، وكأنه لا مفر للناس من العيش تحت جحيم الظلم أو جحيم الفوضى. نعم، لا جرم أن العيش في بلاد العرب والمسلمين كان ولا يزال عبر التاريخ فعلاً ما بين دركات الجحيم، لأن الحركات بشكل عام كانت ولا زالت محاولات للطغيان وليست محاولات للعدل المرتّب والحرية المنظّمة الراسخة. بالرغم من كل محاولات رفع الظلم فإن المحاولة كانت غالباً من ظلمة يريدون إزاحة ظلمة للحلول محلهم، في هذه النقطة معك حق لكن ليس للسبب الذي تذكره أنت، لكن لأن العقائد السياسية والدينية المنشورة في الأمة هي عقائد بشكل عام فاسدة من جذورها، هي عقائد استغلالية ظالمة وخبيثة ومكدرة وغير مرتبة عقلياً. إلا أن هذا ليس ضرورياً. يوجد اختيار أمام الناس غير "الشرطي الظالم" و "الفوضى". وما أكثر البلاد اليوم، وعلى رأسها أمريكا مثلاً، التي داخل البلاد فيها لا يتحكم فيه لا الشرطي الظالم ولا الفوضى. وسأصارحك باعتقادي في هذا الأمر وهو هذا: نحن المسلمون عظماء في العلم والعرفان وفشلة في السياسة ولا نعرف في السياسة إلا الطغيان. هذا بشكل عام. ومن أهم مَن ساهم في ترسيخ الطغيان هو

أمثال شيوخ "أهل السنة" وهم رؤوس الضلالة في هذا الأمر وسادة البقية الذين نشروا مثل ما تقوله أنت تماماً. فبدلاً من السعي عقلاً وعملاً للبحث الجاد في كيفية تغيير الأوضاع السياسية إلى ما بعد الاختيار بين الشرطي الظالم والفوضى، كما فعلت أوروبا وبذلك خرجت من العصور الظالمة المظلمة، وخصوصاً كما فعل الأمريكان في ثورتهم الفكرية قبل ثورتهم المسلحة ضد الملكية البريطانية، فإن شيوخنا اكتفوا ببذل معظم وقتهم في قضايا عظيمة الأهمية بلا شك كالعرفان والإلهيات والعبادات وشيء من المعاملات، لكنهم أهملوا البحث السياسي إهمالاً خطيراً وضاراً حتى صارت آرائهم السياسية "فطيراً" خبيثاً، وتافهاً، وتحليلاً لو بذلوا فيه ما بذلوا في باب الطهارة لكنّا أسياد العالم في السياسة الحرة العقلانية. لكن بدلاً من ذلك نجد مثل ما تطرحه حضرتك، وخلاصته "إما الشرطي الظالم، وإما الفوضى، وإما تنصح الظالم في السر" ! جحيم أو جحيم أو غباء مطلق وجنون مطبق. وتزعم أن "هذا قدرنا". لا أدري هل اطلعت على لوح القدر أم اتخذت عند الرحمن عهداً أم ماذا بالضبط. تقوّلت على النبي وعلى الصحابة وعلى التابعين وعلى أئمة المذاهب والآن صرت تتقوّل حتى على الله وعلى لوح القدر أيضاً. نحن نعلم أن بعض الصوفية يطلع على لوح القدر، فلا أدري هل أنت من هؤلاء، أم أنك مثل إبليس حين قرر أن يعصي الله ادعى أن هذا قدره فعرف القدر من النظر في واقعه وفعله فقال "رب بما أغويتني" أيهما أنت؟ إن كنت تتطلع على لوح القدر فيا ليت تخبرني: أي الأسهم سيرتفع غداً لأنني أريد استثمار مبلغ صغير معي. وإن كنت لم تطلع على لوح القدر، وإنما نظرت في واقعك وبعد الواقع ادعيت أنه لوح القدر، حسناً، فر من قدر الله إلى قدر الله، فتعال وتصرّف وافعل واعمل على التغيير السياسي، ثم انظر لعل الله غيّر القدر وبعد السطر الذي قرأته أنت يوجد سطر آخر فيه "سينجح الدكتور عبد القادر في تغيير رأي الأمة في أمور السياسة لتصبح أمة حرة عادلة بنسبة معقولة"، لا تدري، لعله حق، لكنك لن تعرف إلا بعد أن تجرّب، فتعال وجرّب.

ووجدتك تشتكي أن لا أحد استشارك في تولّي هؤلاء الظلمة. يا حبيبي ! ابحث في صندوق البريد جيداً، قد تجد الرسائل التي أرسلوها لك لكنها وراء ظروف فواتير الكهرباء. أنت تنتظر إتيان رؤساء الجيوش والأحزاب ليستشيروك فيمن يولّونه رئاسة الدولة. حقاً كما قال بعض رؤساء سوريا في القرن الماضي حين سلّم الرئاسة لمن بعده فقال له ما معناه "ستحكم أمة نصفها يعتقد أنهم أنبياء والنصف الآخر يعتقد أنهم آلهة". يعني بكل قوة وجرأة وسلامة صدر-نيّتك طيبة-تعتقد أنه من الواجب على الناس أن يأتوك ليستشيروك فيمن سيتحكم فيك ويتصرف في نفسك ومالك ونفس أهلك وأولادك وأموالهم وأديانهم وألسنتهم. فلما لم يأتوا إليك قعدت في بيتك، وشغلت كاميرا اليوتيوب وصرت تشتم في الوهابية وتبرر حال الطاغية.

جعلتني أغضب من الأمة فعلاً لأنها لم تأتي لاستشارتك، إلا أني سمعتك تذكر الأمر بصيغة الجمع، "لم يستشيرنا" فمن هؤلاء ال "نا"؟ مولانا علي جمعة داخل في ال"نا" ومَن أيضاً؟ يا ليت تعطينا القائمة كاملة حتى نستشيركم ونبعثها لكل رؤساء الطوائف الانقلابية والأحزاب التورابورية والمذاهب السياسية ونحذرهم بالعذاب الأليم في حال لم يستشيروك...آسف، لم يستشيرو"كم".

وأقررت أن "الأحاديث وردت بهذا" أي وردت بالخروج المسلح على الظالمين. لكن بعد ذلك نقضت العمل بهذه الأحاديث بحجة أن الأمة تبيّن لها عدم جدوى ذلك. هذا كفر بعد كفر ! يعني أولاً أقررت بوجود أحاديث عن النبي فيها أمر بالخروج، وهذا إقرار عظيم، وهنا تمتاز عن الوهابي الذي أشرت إليه سابقاً فإني لم أجده حتى يذكر هذا الاحتمال، فشكر الله صراحتك هذه وإن كنت قد رميت الجملة وسط كلامك ولم تقف عندها وتبيّنها بصراحة كما يجب وأنا لم ألتقط الكلمة إلا بعد سماع الجملة مرّتين ومرّت عليّ المرة الأولى ولا أظن أن السامعين عموماً انتبهوا لها فيا ليت تعيد تبيان هذه الأحاديث وتشرحها للناس فإنه تكليفك الشرعي خصوصاً وقد تكلّمت في المسألة. هذا الإقرار ستؤاخذ به أنت وكل من يعرف ذلك ويسكت عليه، فالكفر الأول هو رفض حديث النبي وأمره بعد الإقرار به. الكفر الثاني هو الاعتماد على "فشل" التجربة لرفض الحديث النبوي، وهذا أشد من سابقه. تترك العمل بحديث النبي لأنك وجدت الواقع في "مرتين ثلاث مرات" لم يتلائم مع هواك أو "هوى الأمة". نحن نتبع "هوى الأمة" أم نتبع حديث النبي؟ العفو، كنت أحسب أننا نتبع حديث النبي، فإذا بي أكتشف أن هذه "الأمة" لا تكتفي بالكسل والشلل والخنوع لكنها أيضاً تقدّم هواها على حديث النبي. أمتأكد أنت أنك تتحدث عن أمة مؤمنة بالله ورسوله أم تتحدث عن أمة من الملاحدة الذين يستعملون المذهب البراغماتي بأسخف وأقبح أنواعه وما حديث النبي عندهم إلا وسيلة يتم تجربتها فإن وافقت هواها استمرّت وإن لم توافقه انتكست وكفرت ورفضت.

تقول أنه لا توجد وسيلة لتغيير الظلم القائم إلا بالفوضى أو الاستعانة بالأجنبي الذي يحقق مفاسد أكبر. الآن دخلنا إلى الأجنبي مرة أخرى. بالمناسبة، النبي استعان ب"أجنبي" مسلم لكنه أجنبي عن قومه ليفتح بلاد قومه قريش، وانظر في التاريخ وستجد الكثير من " الأجانب" تمت الاستعانة بهم في أمور كثيرة. وأحياناً كان "ولاة الأمر" يستعينون بالصليبيين ليحاربوا المسلمين. فلا أدري هل تقصد أجنبي مسلم أو أجنبي غير مسلم؟ ثم هل الأجنبي غير المسلم بالاسم الذي يعيننا على تحقيق حريتنا السياسية لمصالح يريدها هو ولا تتعارض جوهرياً مع مصالحنا بل هي أشبه بالخدمة بمقابل، هل في ذلك شيء مرفوض عقلاً أو شرعاً؟ وماذا ينفعنا كون الظالم يصلّي ويصوم (هذا إن كان يصلّي فعلاً ويصوم). صلاته وصيامه له

وظلمه علينا، ونحن علينا بما لنا وهو عليه بما له. فلا تخوّفنا بالأجنبي، لكن فصّل وفسّر ودقق. عدو عدوي صديقي في بعض الحالات، وكلامنا الآن في السياسة لا في باب الطهارة. والآن الحكومات القائمة الظالمة التي تبرر لها أنت كلها تستعين ب"الأجنبي" لحكم المسلمين وقهرهم والتغلب عليهم، كلها بلا استثناء من سوريا بلادك التي تستعين بالروسي إلى تركيا ملجأك التي هي عضو في الناتو الأوروبي الأمريكي، إلى السعودية التي قامت على أكتاف البريطاني وهي الآن بدون الأمريكي لا تبقى أسبوعين بدون تحدّث الفارسية كما قال ولي نعمتهم السابق، أم تقصد بلاد الأزهر التي تأخذ معونات وصدقات من ضرائب الأمريكان؟ أم مَن تقصد بالضبط؟ أرني حكومة "مسلمة" اليوم لا تستعين ب"الأجنبي" المسلم وغير المسلم على السواء لضمان قمع شعبها وقهر المسلمين فيها. فإذا كان هذا هو الواقع وهو كذلك ولا تستطيع إنكاره، فأي بأي في الاستعانة كذلك بأجنبي مسلم وغير مسلم لتحقيق مصالح عامة الناس بدلاً من مصالح جبابرة الناس. الآن توجد استعانة بأجنبي لكن لمصلحة المجرمين، فأين مشكلتك-على فرض الحاجة-بالاستعانة بأجنبي لكن لمصلحة المسلمين. أم أنك على رأيك السيء في الأمة بحيث تستمتع وتتلذذ برؤية المسلمين يتعذبون وتكره لهم كل طريق للخروج منه، فهي أمة عندك تخنع بسهولة بعد "مرتين ثلاث مرات"، وتفضّل هواها على حديث النبي، والآن أراك تخوفها بشيء يعمله قاهروها وبدونه سيسقط من يقهرها في أسبوعين أو أقل على الأغلب. إن صدّقت رأيك في الأمة فأنا كافر بالأمة ولعنة الله على الأمة. لكن الحمد لله أني لا أصدق به. ولا أصدق أنك أنت أيضاً ستبقى على هذا الرأي الفاسد في أمّتنا وظنّي فيك حسن بحمد الله. وأما قولك أن مصالح الأجنبي ستكون دائماً متعارضة مع مصالح المسلمين، فهذا غير صحيح، لأن المصالح هنا هي مصالح سياسية واقتصادية، وهي أمور جسمانية طبيعية مالية بشكل عام، والمسلمون اليوم يمارسون إسلامهم ويعلنونه في بلاد الغرب أكثر وأحسن وبراحة أكبر مما يفعلون في البلاد ذات الأغلبية المسلمة. ومرّة أخرى، الوضع الآن ليس في مصالح المسلمين أيضاً، فارجع لقاعدتك في ارتكاب أخف الضررين إن شئت، فنحن نعيش في ضرر راحة الحكام وعذاب الشعوب والقبائل المسلمة مع استعانة الحكام بالأجنبي، فلنسعى لنتحوّل إلى حالة فيها راحة الشعوب والقبائل المسلمة مع استعانة الحكام الجدد-إن اضطر الأمر-بالأجنبي المسلم ومن بعده بالأجنبي غير المسلم، فهذا أخف الضررين قطعاً لا ظنّاً. ولن يأتي على المسلمين ما هو أسوأ من الوضع الحالي بالنسبة للاستعانة بالأجنبي مباشرة أو غير مباشرة. وانظر إلى سوريا، طاغيتها الحالي استعان بأجنبي لتدمير سوريا، فماذا سيفعل المسلمون هناك أسوأ من هذا، تدمير سوريا وحصل، سجن وتعذيب وقتل عشرات الآلاف وحصل، خروج الملايين من السوريين من ديارهم بغير حق حصل، هذا كله كان

ويكون تحت ظل النظام الحالي الذي هو "ظل من يحموم"، فماذا سيفعل المسلمون إن عقلوا ولو قليلاً ما هو أسوأ من ذلك؟ ولا تضرب لي مثل بوهابية داعش فهؤلاء ملاحدة وليسوا هم من يُقاس عليهم الأمر، لكن أقصد عموم الناس في سوريا بكل أديانهم وطوائفهم، الاحتكام إلى هؤلاء وتحكيمهم هو الحل الأنسب والأقرب للعدل والسلامة المستدامة. وقس على ذلك.

و-ذكرت نصيحة الحكام وأنها الحل. ورددت على من ذكر تحليلاً جيداً لبطلان فكرة النصيحة السرية للحكام خصوصاً العرب. وكان ردّك حاصله أن الثورات فشلت في تنصيب حكومة رشيدة وأن من جاء بعد الثورة كان أسوأ أو مثل السوء الذي كان قبل الثورة. وضربت أمثلة لا داعي لترديدها. وتذكر أن النصيحة هي التي أمرنا بها الشرع، ونهتمّ بالعمل بدون النتائج، فتريد أن نهتمّ بالعمل بدون النتيجة. وتطلب حلّاً عملياً منّا الآن، "حل معقول وجُرّب مثله ونجح". أنت تقترح الحل وهو أن ننصح الحكام الظلمة والسلام، فإن قبلوا قبلوا وإن لم يقبلوا فلا يقبلوا، وأشرت إلى النصيحة السرية "ليس على الكاميرات" وأنك تعلم أناساً نصحوا الحكام وبعضهم استجاب وبعضهم لم يستجب. وأن القضية قضية واقع لا أمنيات. هذا حاصل كلامك في هذه النقطة. حسناً.

أما الأمنيات، فأنت ومن يأمر بالنصيحة والنصيحة السرية للظلمة هم أصحاب الأمنيات على الحقيقة. وتريد منّا أن نأتي بأمثلة على نجاح الثورات وسنأتي إن شاء الله وبالحل الذي طلبته، لكن قبل ذلك تعال أنت وأتنا بأمثلة على نجاح أمنية النصيحة هذه ومتى نجحت، بالدليل وليس بالهمس واللمز و"أعرف أناساً نصحوا" التي تذكرها. ولن تجد. ومقابل كل واحدة قد تجدها نجحت في أمر فرعي بسيط، يمكن الإتيان بعشرة ثورات نجحت ولو في أمر فرعي بسيط أو فرعي كبير أو أصلي. فالنصيحة من هذا الوجه أقلّ ما يقال فيها أنها مثل الثورة. مع كون الثورة أكرم وأبرك وأحق في حالة الظلم الطاغي الجذري.

وأما فشل ثورات المسلمين عبر التاريخ، فأن تضع مثالاً عالياً طوباوياً ثم تقعد في بيتك حين لا تجده قد تحقق فهذا أيضاً من العبث. فإما حكومة رشيدة (ولا أدري إن كنت تريد منّا أن نبعث عمر بن الخطاب من القبر ليحكم أيضاً هذه الحكومة الرشيدة) وإما حكومة لعينة طاغية. لا حلول وسطى كما ذكرت من قبل عندكم في السياسة، وهذا أحد أهم أسباب ما يجعل حالتنا السياسية بائسة، لأن التفكير السياسي بهذا النحو دليل على طفولة الوعي السياسي وسخافته. ثم لن نقوم بإحصاء هنا لكل ثورة وماذا أحدثت من منافع مقارنة بالأضرار، لكن باختصار، أولاً نفس إزالة الظالم الأول هي بحد ذاتها منفعة حتى إن حلّ بعده ظالم آخر لكن معرفة الناس ورؤيتهم لسقوط الظلمة سيجعلهم يعلمون يقيناً بقدرتهم على إزالة

الظلمة وسيجعل الظالم القادم أكثر حذراً وخوفاً لأنه رأى ماذا حدث لسلفه وهكذا دواليك، ثانياً إزالة الظالم نفسها عمل شرعي فليس شرطاً أن تسأل عن منافعه في الدنيا لكن منفعته في الآخرة هي الأولى بالاعتبار لأننا نتكلّم عن دين هنا وأراك لا تتكلّم إلا من منطلق سياسي براغماتي بحت (كما أشرت من قبل فأنت تتحدث في السياسة عملياً وتنكر التدخل في السياسة لفظياً، وإن كنت تلبس العمامة الدينية وتدعي أنك تتكلّم من منطلق الدين وبيان الشرع الشريف)، ثالثاً ذكرت مثلاً ثورة العباسيين وأن العباسيين كانوا أظلم من الأمويين وهذا حق من نواحي لكن من نواحي أخرى كانوا أفضل بكثير من الأمويين فمن حيث جعل التعددية العرقية وضم العجم للعرب في السلطة والمجتمع وتركهم بحرية أوسع مما كان الحال مع الأمويين وكذلك بالنسبة لأهل البيت العلوي نعم تعرّضوا للظلم الشنيع لكن أيضاً أخذوا قوة وقدرة جديدة وسعة لم تكن لهم من قبل تحت الأمويين فهذا حصل وذاك حصل في آن واحد، وكذلك بالنسبة لتشجيع العلوم والترجمة وتأسيس المعارف والمذاهب والغالبية العظمى من الكتب الدينية من شتى فروع المعرفة حدثت مع العباسيين وليس مع الأمويين الأعراب الأجلاف بالمقارنة بهم، ورقعة بلاد المسلمين توسّعت بالعباسيين أكثر ثم بمن جاء بسبب العباسيين كالأتراك الذين كان من فروعهم العثمانيين بعد قرون وأنتم تحبّون قصة توسيع بلاد المسلمين وتحبون العثمانيين على ما فهمت، وهكذا توجد منافع كثيرة جاءت بسبب العباسيين لم تكن موجودة عند الأمويين، فأن تشطب بجملة واحدة على كل ثورة حدثت بالنظر إلى جانب واحد منها أو النظر في العموميات دون التفاصيل هو قصور شديد في النظر ودليل آخر من بين أدلة كثيرة على ضحالة النظر السياسي والواقعي عند الكثير جداً من المتصدّين للمشيخة الإسلاموية، ومثال أخير لمنفعة جاءت بشكل غير مباشر بسبب الثورة العباسية التي ذكرتها، وهي تأسيس الأندلس، فبعد أن ارتكب العباسيون مجزرتهم بالأمويين-انتقاماً لكربلاء وغيرها من مظالم الأمويين-فرّ أحدهم إلى الأندلس وأسس الأندلس بشهرتها المعروفة وشيوخها وأولياء الأندلس الذين يكفيهم أن الشيخ محيي الدين أحدهم، فهذا وغيره من ثمار ثورة العباسيين على الأمويين، أما أن تشطبها بجملة "هم أظلم وأطغى" فهو قصور شديد بل عمه بل عمى عن الواقع والحكم بالميزان والوزن بالقسط.

الاعتماد على النصيحة خصوصاً السرّية هو غباء مطلق وجنون مطبق. لأنك تفترض أن الظالم يعتقد أنه مخطئ وليس متعمداً للظلم الذي يرتكبه ولا يراه ظلماً أصلاً بل هو يراه في عين مصلحته ومصلحة عائلته ومن حوله، فهو يفكّر بنفسه وما ينفعه وهواه ويريد لنفسه الخير، لذلك يرتكب ما يرتكب مما هو خير له في نظره وشر لغيره لكنه لا يبالي بغيره ويهتم بنفسه. هذا إن لم يكن يعتقد أن الأنسب لغيره أيضاً أن يفعل ما يفعله فيهم كما يعتقد المغرق في

الظلم والجهل كحال أكثرية الحكام. فإذا دعم هذا الحاكم سحرة من الشيوخ الدجالين والنصابين الذين يبررون له كل شيء باسم الدين، بلغ جنونه الأفق الأعلى وصار تأثير الكلام فيه كتأثير وعظ موسى في فرعون، منعدم عملياً. النصيحة تأتي لجاهل أو من يظن أنه جاهل أو غافل، أما مَن نفس مصلحته تتشكّل من الشيء الذي يعتبره غيره ظلماً وضرراً، فهذا لا ينفع ولن ينفع ولا ينبغي توقع أن ينفع معه الوعظ والنصح. كأن تنصح امرأة تتعرض للاغتصاب مغتصبها بالكف عن ممارسة شهوته وتقييدها، فلو كان ينفع معه هذا النوع لما فعل ما فعله، بل هو أشد وهذا مثل مخفف. فإن الحكام الظلمة يعيلون عوائل ويتبعهم حشد من الناس يعتمدون على الموارد المنهوبة والقمع الحاصل، فالقضية أكبر من مجرّد نصح شخص واحد ليغيّر شيئاً بسيطاً في حياته كتغيير نظامه الغذائي أو الكف عن التدخين. هذه سذاجة أخرى بل في اعتقادي دجل مقصود يروّجه دجاجلة الطغاة من شيوخ الدين الفاسد عموماً. جرّب وانصح صاحب شركة تجارية بمجرّد الكلام أن يعطي العمّال "حقوقهم" كرواتبهم كاملة أو زيادة في الراتب أو أيام إجازة مدفوعة أو بيئة عمل أنظف وأجمل ونحو ذلك من أمور العامل يراها "مصلحة" لكن صاحب العمل يراها "تكلفة" فيوجد تعارض بينهما لا يحلّه الوعظ والكلام فقط وجرّب إن شئت وانظر عدد مرّات نجاح عملك هذا مقارنة بفشلك، لذلك يجب أن يتدخل مصدر قوي آخر ليجبر صاحب العمل على ذلك بنحو أو بآخر. فإن كان هذا حال صاحب شركة تجارية بل صاحب بقالة، فهل تريد من صاحب دولة ومملكة بكل مواردها الطبيعية و"البشرية" أن يستسلم ويغيّر كل شيء من أجل وعظك، والمشكلة الأكبر هي أنك يا دكتور تريد منهم أن يأتوك ليستشيروك فهل في النصيحة أيضاً تريد من الطاغية أن يأتي إليك ليستنصحك؟ إن كان كذلك فبلّغه عنوانك عاجلاً غير آجل.

أما بالنسبة للحل المعقول الذي جُرّب مثله ونجح الذي طلبته، هذه ثلاث صفات طلبتها. لكن الأهم من هذا قبل أن أعرض عليك الحل، أنا الذي يجب أن أسألك كشيخ دين: أنت أخبرني ما هو الحل المعقول الذي ورد في الشرع الذي سينجح. المفروض أن القرءآن فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء وما فرطنا في الكتاب من شيء. والمفروض أن الرسول علّمنا نحو عشرين أدب في كيفية دخول الخلاء. فإن قلت لي أن القرءآن انشغل بالكلام عن حيض المرأة وحمّالة الحطب، والنبي انشغل بتعليم آداب الخلاء، ولم يعلّمنا كيفية الفلاح في الخلاص من الظالمين وتأسيس مجتمع فيه نسبة معقولة بحسب طبيعة الدنيا من العدل والحرية لا أقل-على الأقل- كالتي نجدها عند من تسمونهم "الكفار" داخل مجتمعاتهم الحديثة كأمريكا وكندا. أم يا ترى اطلع "الكفار" على علم لم يبلغه الله ورسوله أو بخلوا به علينا فصرنا نتخبّط إلى حد أن يأتي شيخ دين مثلك تعلّم على المشايخ بالسند الصحيح إلى رسول الله و"يشحذ" حلاً لواحدة من

أكبر القضايا الاجتماعية والإنسانية على الإطلاق، بدلاً من أن يكون هو الفياض بالحلول والمبيّن للمشكلات، ثم لا نرى أحسن ما عندك إلا "النصيحة" وراء الكواليس رعاية لمشاعر الطاغية نجّس الله نفسه. إن ما عرضته إلى الآن وما طلبته هو- إن كنت أنت فعلاً من " العلماء" الذين هم "ورثة الأنبياء"- دليل على إفلاس الأنبياء والعياذ بالله. فأنت وكل مدرستك ومذهبك وكتبك ومن تعلمت عليهم من مشايخك الآن على المحك، فانظر، فإن كان أفضل ما عندك لرفع الظلم وإقرار الحرية والعدل في بلاد المسلمين هو النصيحة السرّية على الطريقة الوهابية-مشترك آخر بينكما-فأنا سأنصحك بأن تكفر بكل مذهبك وتقطع غلّ سلسلة سندك وتعال إليّ فإنك ومشايخك قد "غدوت مريض العقل والدين فالقني/ لتسمع أنباء الأمور الصحائحِ".

أما الحل المعقول المجرّب الذي نجح فأعطيك المثال الأمريكي. الأمريكان كانوا مستعبدين أيضاً للتاج البريطاني، ملكية طاغية وعسكرية، نفس وضعنا في العالم العربي بشكل عام وإن كان الوضع البريطاني والأمريكي قبل مائتين سنة أحسن من وضع كل البلاد العربية الإسلامية اليوم، لكن يوجد مشترك كافي للمقارنة. بدأ الإصلاح السياسي في أمريكا عبر تقرير شيوخ دين هناك وبدأ الأمر من شيوخ للدين المسيحي وليس من فلاسفة فقط، وقرروا عقائد يؤدي اعتناقها إلى تأسيس الحرية السياسية والمنظمة الدستورية. وعزز فلاسفة السياسة ذلك. فلما تأسست القواعد الإيمانية والفكرية، انفتح الباب بالتدريج للإصلاح السياسي. فالحل يبدأ الآن من تأسيس هذه القواعد الإيمانية والفكرية، والتي أوّلها هي ما يشبه هذه الرسالة التي أرسلتها لك، فننقد ونرفض كل العقائد التي يؤدي اعتناقها إلى سوء الظن بالأمة، وتبرير الطغيان تحت مسميات مختلفة، وقبول شرعية الطاغية دينياً، وسوء الظن بالحرية واعتبارها كفراً وزندقة وإباحية مرفوضة، والعمل على تفصيل قضايا السياسة ووضع تفاصيل وعدم الكلام فقط في المجمل والمبهم والعام، ودراسة تاريخنا من جديد لمعرفة الأسباب الفعلية لحدوث ما حدث من سوء وظلم ونضع حلول تعكسه وترسّخه في مجتمعاتنا، وجعل العدل هو القيمة الكبرى كما هو الحال في القرءآن إلى حد أن الله نفى الشرك بأن جعله ظلماً "إن الشرك لظلم عظيم" فكان سوء الشرك أنه ظلم وليس سوء الظلم أنه شرك فقط، فالظلم هو المعيار الأعظم في الشر فالعدل والعقل والحق هو المعيار الأعظم في الخير وتذكير الناس بهذا دوماً حتى يصبح قبول الشرك أهون عندهم من قبول الظلم إن كان لابد من قبول أحدهما والظلم بكل معانيه وتجلياته، ترسيخ قيمة حرية الكلام وحرية الدين في المجتمع لأنهما من الدين وصلب الإيمان والحق كما هما في القرءان (سأرسل لك مجموعة كتبي لتنظر فيها إن شئت وفيها تفاصيل لما أجملته في هذه الفقرة)، على هذا النمط لابد من إعادة النظر وتأسيس

قواعد إيمانية وفكرية ينبني عليها بناء سياسي نظيف، خلافاً للوضع الحالي والوضع الذي كانت عليه الأمة بشكل عام خصوصاً الفكر السني الذي تمثّله أنت هنا والذي كان ولا يزال بشكل عام فكراً سياسياً متخلّفاً مريضاً ظالماً مظلماً خبيثاً جاذباً للطغاة محبباً للطاغين المجرمين. وإحياء الفكر الإسلامي الآخر المغاير لذلك وأخذ ما ينفع منه في هذا الباب وإعادة النظر في حججهم لأنها أفضل من الحجج التي يمثّلها المذهب السني/الوهابي. هذه بداية الحل المعقول المجرّب. هذه الخطوة الأولى وأهم خطوة وهي الخطوة التي لابد من تجديدها والتذكير بها وترسيخها دوماً وليل نهار كما يسعى الظلمة بمكر الليل والنهار لاستضعاف الناس. وهذا أيضاً ما يفعله الأمريكان اليوم حيث يراقبون حريتهم وأسس ثقافتهم الجوهرية ليل نهار ويغارون عليها من أدنى خدش ولمس ويحاربون أي مظهر لكسر قاعدتهم الكبرى في السياسة والتي هي الحرية المنظّمة عبر ممثّلين الناس.

الخطوة الثانية التي فعلها الأمريكان هي أنهم اختاروا ممثّلين لهم مطاعين. وهكذا يجب أن نعمل على جمع المسلمين في جماعات حتى يكون لهم ممثّلين إذ لا يمكن اجتماع ملايين الناس للنقاش في التفاصيل على طاولة حوار واحدة. بل لابد من فكرة النقباء التي هي فكرة قرآنية وسنّية كبيعة العقبة الأولى والثانية وغيرها كما في موقف بعث العرفاء المذكورة في البخاري. فعرفاء الناس والنقباء يمثّلونهم ويرجعون إليهم ويكونون واسطة بينهم وبين رؤساهم الذين اختاروهم بإرادتهم. وهو ما يعرف بالنواب اليوم.

الخطوة الثالثة التي فعلها الأمريكان هي أنهم اجتمعوا عبر ممثليهم ووضعوا بنود استقلالهم وشروط حكومتهم الجديدة عبر الحوار والشورى بينهم في أمر أمر من أمور الدستور الجديد. (تشاورهم هذا محفوظ نصّه إلى اليوم). اختاروا رأساً يدير الجلسة، ثم اجتمعوا يوماً بعد يوم وناقشوا قضايا الدستور الجديد وصوّتوا عليه ومشوا مع السواد الأعظم من الأصوات، حتى وضعوا الدستور في صورته الأصلية. ثم عرضوه على الجمهور الأمريكي، وحصل حوار وجدال حر في الصحف وعلى الأرض عن بنوده. ثم عرضوه للتصويت فلما أقرّته الأكثرية المطلوبة عملوا به. وفي الدستور وضعوا آلية سلمية لتعديله، وضمنوا بعد ذلك ووضعوا لائحة حريات أساسية لا يحق للدولة التدخل فيها (الدين والكلام والصحافة وحق التجمع والشكوى للحكومة) وحق حمل السلاح للناس لضمان حريتهم، وقائمة من الأساسيات الضامنة لعدم تغوّل الحكومة الجديدة على الولايات والشعوب والقبائل التي تعيش على الأرض الأمريكية. وعملوا بكل ذلك ولم يكن مجرد حبر على ورق في الغالبية العظمى من الحالات، ومع كل تحدي جديد واجهوه لم يهربوا إلى تأسيس طغيان يحميهم من مواجهة الواقع وتحمّل مسؤولية الحرية والقرارات الشعبية.

وأعلنوا طبعاً قبل وضع الدستور استقلالهم عبر إعلان الاستقلال الشهير وخاضوا حرباً مع البريطانيين (الحمد لله أنهم لم يسمعوا عن وجوب السكوت على الظالم حتى لا تُسفك الدماء. بل الحق أنه كان فيهم من يقول بمثل ما قلتم به أنتم والوهابية لكنهم لم يبالوا بهم وجاهدوا في سبيل حريتهم وكرامتهم وانتصروا كما وعد الله بنصر من يفعل ذلك) وصبروا وصابروا ورابطوا حتى جاءهم نصر الله وكانوا يصلّون لله ويدعونه ويستمدّون منه كما هو معلوم إلى أن دحروا الانجليز وقطع الله دابر القوم الذين ظلموهم. فهنا خطوة الرجولة والإقدام حيث أعلنوا وتعاهدوا على الصبر وبايعوا بعضهم بعضاً على الموت والتضحية بالمال والنفس في سبيل الاستقلال. ثم بعد الاستقلال وضعوا الدستور كما بيّنت في الفقرة السابقة.

فماذا نستفيد من هذا البيان عن التجربة الأمريكية؟ أوّلاً، الطريق طويل وشاق، فهو جهاد عظيم ومن يريد أن يقعد في بيته وينام ويتخيّل أن الله سيدخله الجنة بعد تحمّل الذل والمسكنة والسكوت على الظلم في الدنيا فلينام وينتظر ويتربّص حتى يأتي أمر الله. ثانياً، الطريق يبدأ بالجانب الإيماني الديني ثم الجانب الفكري العقلي، وأساسه الدين المؤسس للحرية والنظام الاختياري. ثالثاً، لابد من تجميع الناس في جماعات منظمة ولهم ممثلين شرعيين. رابعاً، لابد من جرأة وشجاعة وإقدام على الحرب ضد الظالمين والصمود بالنفس والمال. خامساً، لابد من وضع دستور باختيار ممثلين الناس وحوار الناس عموماً ويتم العمل به والصبر عليه وتعديله بطريقة سلمية مع فتح باب الحوار والجدل دائماً وعدم إغلاقه أبداً والعمل على ذلك بكل قوة مهما حدثت انتكاسات في الطريق. سادساً، الرفض رفضاً قاطعاً لكل محاولة تهرب من المسؤولية والفرار منها إلى "بابا" الطاغية، لابد من فطام الأمة من الطفولة بكل أشكالها والدخول في طور الرجولة والمسؤولية فأمّتنا في السياسة اليوم بشكل عام أطفال يبحثون عن أب يربّهم ويصفعهم أحياناً ليشعرهم بقوته ومسؤوليته عنهم، والفطام عملية صعبة مادياً ونفسانياً، وشيوخ الدين عليهم مسؤولية كبيرة هنا..هذا إن استطاعوا أن يفطموا أنفسهم أولاً.

هذا طريق معقول ومجرّب وناجح. وإن شئت أن ترى نجاحه داخل أمريكا فتعال إلى أمريكا. وإن شئت أن ترى نجاحه خارج أمريكا فانظر إلى قوة أمريكا في العالم. وإن شئت أن تنظر إلى دستور مستقر لم يتعدّل إلا عدد بسيط من المرات في أكثر من قرنين من الزمن فانظر الدستور الأمريكي. فأمامك المثال الأمريكي للقوة الداخلية والقوة الخارجية على السواء ولن تجد أحسن منه لا قبل أمريكا ولا في هذا الزمان بشكل عام إذا قمت بالوزن الصحيح ولم تأخذ بالكلام المجمل والشائعات المريضة بل بالكلام المفصّل الموزون والوقائع والحقائق كاملة أو بأكبر قدر ممكن من الكمال.

بداية الطريق من هنا. من إصلاح علاقة الدين بالسياسة. من الكف عن جعل الدين أداة لتركيع الناس للطغاة. هنا البداية. البداية من كل فرد. البداية منك أيضاً يا دكتور. وإن كنت قد قسوت في بعض المواضع فاعلم أن قسوة واقع كلامك على القلوب السليمة وقسوة تطبيق كلامك على واقع المسلمين وما يشبه كلامك عبر التاريخ وإلى يومنا أقسى بمراحل فلكية. وأنت تذكر أن النصيحة باللسان، والظلمة كما تعلم يقطعون لسان المتكلّم ضدهم خصوصاً إذا اشتدّ عليهم واستمرّ، وبالأخص إذا جهر وأعلن كلامه، فأنت تفترض وكأنه توجد حرية كلام في هذا الأمر وتعلم جيداً كما أعلم أنا والمثال السوري مشهور لديك أن الناس هناك عموماً يخافون من الدولة أكثر من خوفهم من الله بسبب بطش الدولة الغاشم وقس على ذلك ما يحدث في بقية البلاد، فماذا تفعل الآن؟ تقول أن تكليفك الشرعي هو النصيحة، والنصيحة كلمة، والكلمة تحتاج إلى أمن وإلا جازت شرعاً التقية أو السكوت ودخول الكهف، فأقلّ ما يجب عليك هو أن تؤيد حرية الكلام في السياسة وتجعله خطاً أحمراً لكل دولة بحيث إذا خالفته وكسرته يجب الخروج عليها لأنه لا يوجد شيء لدينا غير النصيحة والنصيحة واجب شرعي معلوم من الدين بالضرورة فمن منع من إقامته وما لا يتم هذا الواجب إلا به فهو واجب فتجب محاربته حتى يرجع إلى ما وراء الخط الأحمر الأكبر أو الوحيد، هذا أقل ما يجعلك لكلامك مسكة معقولية، لكن حتى هذا لم أسمعك تقول به. لذلك أنا أقول لك: فكركم معشر "السنة" والوهابية مفلس في هذا الباب فاخرجوا منه بالكلية أفضل، وأعيدوا النظر فيه بالكلية فهو بداية الحل الذي تبحث عنه وتطلبه منّا وقد أجبتك عنه.

أسأل الله لنا جميعاً الهداية واليقظة، والركوع لله وحده لا شريك له لا في السماء ولا على الأرض، وهو العزيز الحميد.

...

اللهم اجعل ناري تطهيراً ونوري تقديساً، واجعلني رحمة للعالمين يا رحمن يا رحيم.

...

قالت: ذكرت أنك رأيتك النبي، صفه لي.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته رأيته ثلاث مرات. مرتين في اليقظة ومرة في المنام. أول مرة في اليقظة كان كله نور فقط. ثاني مرة بعدها في اليقظة كان له شكل جسماني طبيعي في الجنة وكان جالس على الأرض ولابس أبيض ولم أرى ملامح معينة. كان مطرق برأسه وكنا في جلسة ذكر. ثالث مرة في المنام رأيت أن الناس كلهم قيام عند الروضة الشريفة والباب مفتوح وأنا الوحيد الداخل إليها. دخلت ورأيت ثلاث توابيت وأولها تبع النبي. فسجدت عند

رأسه. فرأيت التابوت كله تحول إلى جسم النبي والنبي قام ومشى ورأيته من ظهره. ثم رأيت أمام ليل تام وفجأة ظهر وجه النبي البشري كما هو. لونه أقرب للون جلد الأسد الفاتح اللون، ووجهه أجمل وجه رأيته أو تخيلته، لا أستطع أن أصفه. إلا أن وجهه عليه سكينة الطفل مع قوة الأسد. ملامحه نظيفة وعينه غير واسعة، وأنفه مستقيم. لحيته ليست كثة لكنها مليئة ومرتبة. وشعره وسط ما بين الطول والقصر.

...
اللهم حلِّ لي الصيام، وسهِّل لي القيام، وبارك لي في الكلام، والصلاة على النبي وآله والسلام.

...
المسيحية حاربت اليونان بتجريدهم والرومان بتجسيدهم، لذلك جاءت بتجسيد ليضاد تجريد اليونان، وجاءت بتجريد ليضاد تجسيد الرومان.

الإسلام جاء ليبيّن حقيقة العالَم للإنسان. فالعالَم فارغ والإنسان هو الشيء الوحيد المتحرك فيه والمتكلّم به والمعبّر عن المعاني فيه، لذلك المسجد يجسّد الكون الفارغ من المعنى، والإنسان هو الإمام والمتحرك والمصوّت في المسجد فقط ليعكس كون الإنسان هو خليفة الله في العالَم والمد بالمعاني فيه.

...
بسم الله الرحمن الرحيم.
الوجود هوية وأسماء ومستوى الصفة ومستوى الروح ومستوى النفس ومستوى البدن.
الذاكر هو النبي في مستوى الصفة "سبحان ربك رب العزة" (العزة صفة العزيز، وكذلك كل صفة)، فهو القائل للباء من "بسم". وهو يرى تحته ثلاث عوالم الروح والنفس والبدن، فذكر ثلاثة أسماء من الواسع إلى الأضيق إلى الضيق، فهو يرى بعين الأسماء فوقه العوالم تحته. فالبسملة سر النبوة وحقيقة الولاية.

...
{وأوحينا إلى موسى وأخيه} موسى ظاهر وأخيه باطن. {أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً} بيت لتلاوة كتاب الله، وبيت لدراسة كتاب الله. {واجعلوا بيوتكم قبلة} لكل مريد للتلاوة وللدراسة. {وأقيموا الصلاة} التلاوة والدراسة. {وبشّر المؤمنين} الذين يحضرون في مواقيت الصلاة للبيوت ويختمون كتاب الله تلاوة ودراسة ويسعون في ذلك. من فعل الشيء ثلاث مرّات صدق عليه اسمه، فالمؤمن من يحضر ثلاث مرّات في الشهر، وفوقه صاحب الثلاث مرّات في

الأسبوع، وفوقة صاحب الثلاث مرّات في اليوم وذلك أعلى الإيمان، يقيم صلاة الفجر وصلاة العشاء وصلاة الليل. "وطائفة من الذين معك".

...

قارئ القرءآن على الحقيقة هو النبي، في باطن العالَم النبي الآن قائم يقرأ القرءآن. وكل قارئ في الظاهر فإنما يقرأ بحسب صلته بالنبي، وصاحب النور النبوي هو الذي يقرأ بقراءة النبي وقراءته نابعة من اتحاد قلبه بقلب النبي.

...

{ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة} هي ذات الحسنة لها ظهور في الدنيا وظهور في الآخرة، فالحسنة في الدنيا هي التي تستمر معك حقيقتها حتى في الآخرة، وليس إلا القرءآن الذي يصحبك في كل عوالمك من الدنيا إلى القبر إلى البعث إلى تحديد المنازل في الجنة بل وفي الجنّة ذاتها في مجالس القرءآن التي يقيمها رب العزة جل وعلا. فالقرءآن هو الحسنة دنيا وآخرة.

...

{نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون} لماذا بالحق ولماذا لقوم يؤمنون خصوصاً؟

أما بالحق فلأن النبأ الذي لا واقع له الآن هو نبأ وإن كان حقاً في الماضي إلا أنه باطل الآن وحكم الشيء حكمه الآن. لكن نبأ موسى وفرعون حق الآن، في الآفاق وفي الأنفس. إذ القرءان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأما لقوم يؤمنون فلأن العلم بما في الكتاب درجة بعدها درجة الإيمان وهي رؤية هذا العلم متحقق في الواقع الخارجي، كما قال مثلاً "لما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليما"، فالمؤمن هو الذي يرى المعلوم والموعود والكلام الذي بلغه متحققاً في الخارج لا في الذهن فقط. كذلك في إبراهيم الخليل قال "أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة"، فلما رأى بنفسه آمن إيمان خليل. بالتالي نبأ موسى وفرعون لمن علم الحق-وهذه درجة العلم-ثم رأى النبأ متحققاً بلون من ألوانه في زمانه. لذلك ستجد النبي قال "أبو جهل فرعون هذه الأمة" فرأى فرعون متمثلاً في زمانه، كذلك قال لعلي "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" فرأى موسى وهارون في نفسه وخارجه. وهكذا كل أمثال القرءآن تجري حقائقها في مظاهر العالَم ما بقي العالَم كما قال الباقر عليه السلام أن القرءآن حي لم يمت ويجري كما يجري الليل والنهار والشمس والقمر فلو بطل ظهوره لما كان حياً، ولو تخلّفت أمثاله عن التجلي أو كان يحكي قصصاً تاريخياً لما كان يدل

على موجودات كائن الآن كما أن الليل كائن الآن والنهار وكذلك الشمس والقمر. ففرعون وموسى ولقمان ومحمد ويونس ومريم وعصا موسى وفلق البحر وكل قصص القرءآن دلالات على مدلولات واقعية قائمة في الواقع ما دامت السموات والأرض، والذين يطلبون رؤية ذلك هم "المؤمنون" الذين تلا الله نبأ موسى وفرعون لهم. فضدّهم هم الكافرون أي الذين كفروا تسمية الموجودات والنفوس بأسمائها الربانية المذكورة في القرءآن، فالذي لا يعلم حق هذه النبأ والتأويل الحق له فإنه لن يعلم وحيث أنه لن يعلم فلن يؤمن أي لن يرى، وحيث أنه لا يرى الاسم متحققاً في واقعه وزمانه فإنه سيسمّى الشخص والنفس والعمل بغير اسمه وسيكفر اسمه الحق بوضع اسم آخر عليه، كأن يسمّي فرعون زمانه "ولي الأمر ونائب النبي" أو يسمّى موسى زمانه "زنديقاً يدّعي النبوة" ونحو ذلك من وضع الأسماء في غير مواضعها بل في أضداد مواضعها وهو من تنكيس القلب فيجعل الأعلى أسفلاً والسافل عالياً.
الحاصل: قصص القرءآن حق فاعلمها كذلك، وهي سبب الإيمان فانظر لتراها في واقعك كذلك.

...
"ينفقون في السراء والضراء": لا ينقطعون عن مجلس دراسة القرءآن لا في سرّاء تفرحهم ولا في ضرّاء تحزنهم.

...
كلّموا العامّة بالعقل والخاصة بالكشف وخاصة الخاصة بالنص. أما العامة فلأن العقل والمحسوس والموازنة بين النفع والضرر بحسب التجربة المعتادة هي الرابط بينك وبينهم إذ لا يثقون بكشفك ولا يؤمنون حقاً بكتابك. وأما الخاصة فللثقة بكشفك يكفيك تبليغهم إياه ليقبلوه منك تصديقاً لك. وأما خاصة الخاصة وهم الخلاصة فقد اتحدت نفوسكم بروح الله فيكفي إيمانكم بالقرءان وحديث النبي وهو مظهر روح الله لكي تصل الفكرة وترسخ العبرة. وتمام البيان الجمع بين العقل والكشف والنص.

...
أجابني ربي بثلاث في الأيام الماضية الثلاث:
سألته في إظهار أمري وعناد أهلي وتحريف الوهابية ففتح لي وأجابني بقوله "يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر..، ومن الذين هادوا سماعون للكذب.."
وَسألته في ذكر أسماء طغاة الجزيرة وإعلان الثورة عليهم فأجابني "فذرهم في غمرتهم حتى حين"

وَسـألته فـي مـقاطـعة أهـلـي مـمن لا يسـتجيب لكلمتـي فـأجـابـنـي "أفـمن كـان مـؤمـناً كـمن كـان فاسقاً لا يستوون".

...

كل ما حولك له تأويل باطني لأن باطن الدنيا آخرة والآخرة جنة ونار. فكل ما حولك تجلي إما الجنة وإما النار. لكن حين تكون في أرض هي تجلي النار لا تحتمل النفس كثرة تأويل ما حولها لأنك ستقول "نار..زقوم..حميم..شيطان..فرعون..الخ" وهذا تعذيب للنفس. لكن حين يكون ما حولها جنة بشكل عام فيكون التأويل سبب للقوة والسعادة. لذلك تجب الهجرة من أرض النار إلى أرض الجنة.

...

جاء القرءان آيات متعددة بينها روابط لأن الواقع تشهده أنت كوقائع منفصلة بينها روابط وليس الواقع كُلّاً واحداً.

...

"عليك البلاغ وعلينا الحساب"، عليك الدعاء وعليه الإجابة.

...

الحرارة تفرّق الجسم والبرودة تكمش الجسم. بالتالي الحرارة رمز الكثرة والبرودة رمز الوحدة، والجسم البشري لابد له من التوازن بين الحرارة والبرودة لأن المقام الإنسان هو "إني جاعل في الأرض خليفة"، فبرودة "إنّي" التي هي الوحدة الإلهية، وحرارة "الأرض" التي هي الكثرة الكونية، هما برودة الإنسان وحرارته ولابد له من الموازنة بينهما وهو مقام خلافته. فحين تبرد استعمل الحرارة، وحين تسخن استعمل البرودة. كذلك حين تميل إلى الوحدة الإلهية إلى حد الفناء فانظر في الأمثال والقصص القرآني والأحكام فهي الكثرة التي هي حرارة نفسك. وحين تميل إلى الطبيعة والكثرة الخلقية إلى حد التشتت فانظر في آيات ذكر الله وأسمائه ورجوع الأمر كله إليه فهي الوحدة التي هي برودة نفسك. النفس لها مقام الخلافة وهي في نقطة ما بين الوحدة والكثرة، المبدأ الربوبية والأصل الطبيعي.

...

{لا إله} إثبات حقيقة العالَم عبر نفي ألوهيته. {إلا الله} إثبات حقيقة الحق بإثبات اسمه. فهي كلمة كلها إثبات في الحقيقة ولا نفي أي لا عدم فيها.

...

قرأت اليوم في موقع الماسونية في كاليفورنيا أنهم يمنعون من الكلام في الدين والسياسة والتجارة في مجالسهم لأنها تفرّق الناس وغايتهم هي تجميع الناس وتوحيدهم. أقول: توقّعت أي شيء من الماسونية إلا هذه السفاهة العجيبة، ولعلّي سأنصحهم بمراجعة كتب الماسونية

ذاتها مثل "الأخلاق والعقائد" لألفرد بايك، لعلهم يجدون فيها دين وسياسة ولا أدري إن كان فيه تجارة أيضاً. سخف المنظمات الدينية والسياسية يبلغ حد الإعجاز حين تنطلق لا تلوي على شيء. وعن ماذا سيتحدّث الناس إن كانوا من مختلف الأعراق والأجناس والأديان والمذاهب والمهن والطبقات إن لم يكن عن الدين والسياسة والتجارة؟ لعلهم سيتناقشون في وصفات طبخ فطيرة التفاح أو محلّ شراء ملابس داخلية لإرضاء زوجاتهم. ممكن.

...

قال لي "الله" و "غود" (بالانجليزي، الإله) هما شيء واحد أليس كذلك.

قلت: نعم ولا. لا، لأن الله اسم للذات المطلقة المتعالية، أما "غود" فقد تطلق على الآلهة الجزئية والمقيدة بحسب بعض العقائد الشركية والحلولية مثل "غود" الشمس و "غود" الخصب أي إله الشمس وإله الخصب، لكن "الله" لا يمكن إطلاقه بهذه الطريقة على شيء إلا الإله الواحد المتعالي المطلق. هذا أوّلاً. وثانياً، اسم الله له رمزية صوتية، إذ هو ثلاثة أحرف، ألف تخرج من عمق مخرج الصوت في الصدر، ولام تخرج من الوسط باللسان، والهاء قد تُنطَق بسكون فتكون رمزاً على تجلي الله في النفس أو قد تُنطَق كاملة "هو" فتتحرك الشفتين ويخرج الهواء للخارج بالتالي تكون رمزاً على تجلي الله في الآفاق. فالله هو الأول والأوسط والآخر. و"غود" ليس في نطقها هذه الخاصية. وثالثاً، اسم الله يدل بكماله على الله من حيث أسمائه ومن حيث هويته، فمن حيث أسمائه "الله" و "لله" إذا حذفت الحرف الأول، ومن حيث أسمائه "له" و "هو" إذا حذفت الحرف الثاني والثالث. فهو اسم بكلّه يدل على الله من حيث أسمائه ومن حيث هويته. وليس في "غود" هذه الخاصية بوجه. وأقول رابعاً، "الله" إذا قرأته بالعكس لا يعطيك اسماً له معنى، بالتالي الله حقيقة وحدة ثابتة لا عكس ولا ضد ولا ند لها ولا يمكن تغييرها. لكن "غود" إذا قرأته بالعكس يصبح "دوغ" وهو بالانجليزي "كلب". وخامساً، في كل مرة تذكر اسم "الله" يطرق لسانك سقف حلقك العلوي، فهو طرق لباب الملكوت والسماء ورجاء دخولها، وليس في ذكر "غود" مثل هذه الخاصية الرمزية أيضاً. فمن كل وجه فضل "الله" على "غود" عظيم وشاسع لا ينجبر والاختزال ضلال يناسب الجهال.

...

وصف الله ذاته كما وصف كلب أصحاب الكهف، فقال عن الكلب "سبعة وثامنهم كلبهم"، وقال عن نفسه في آية النجوى "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم". فالكلب من التعلّق والتكالب على صاحبه، والله تعالى "هو معكم أينما كنتم" ولا تكلّب أكثر من هذا. فلمّا جعل الكلب أخسّ مَثَل للذي آتاه آيته فانسلخ منها، رفعه الله ببركة أصحاب الكهف حتى جعله أعلى مَثَل مطلقاً إذ صار مَثَلاً في تكلّبه لهويته المتعالية المقدسة من حيث معيتها لكل موجود في

العلم والخلق الإلهيين. ما خفض الله شيء من وجه إلا رفعه من وجه آخر، حتى لا يتعالى شيء على شيء في ملكه وخلقه، ولا يعلو الكل إلا هو جلّ وعلا إذ هو وحده العلي الأعلى المتعالي، فما سواه ينخفض من وجه ويعلو من وجه آخر فتتوازن الأمور.

...

يعمل الناس من مبدأ أو استخارة أو الاستصحاب.

أما الاستصحاب فهو أن تنظر في الوضع الحالي وتستصحبه وترغب باستمراره وتخاف من تغيّره وتحارب أي تغيّر وتفترضه سيؤول بك إلى الأسوأ.

وأما الاستخارة فهي دعاء لحصول شعور في القلب لكن بغير وضوح الفكرة في العقل.

وأما المبدأ فهو أن تعقل وتدرك الأمور وتكون لك فكرة واضحة وقيم راسخة تقيم عليها عملك وتنضبط بها بغض النظر عن أي اعتبار آخر.

الاستصحاب للعبيد، والاستخارة للعاطفيين، والمبدأ للعالِمين.

من جمع بين الاستخارة والمبدأ فهو أقوى الناس. والمستصحب كفور وتعيس وعبد شيطان، إلا إن استصحب حال حصل له بعد السعي بناء على الاستخارة والمبدأ. أما استصحاب العادة والتقليد فهو شأن المعذّبين والملعونين.

...

في قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم سأل راهب ثم سأل عالِم نجد أهمية مبدأ الهجرة. فإن العالِم فسّر له سبب نزعته العدوانية هذه بأنه في "أرض سوء". وليس المقصود التراب لكن الناس الذين هم على الأرض، لذلك نصحه بالانتقال إلى أرض فيها صنف آخر من الناس أقرب للسلام وهم العباد. فالنظام الاجتماعي يؤثر على النفس، وقد يكون السوء الذي أنت فيه راجع إلى ذاتك لكن قد يكون راجع إلى مجتمعك، والفصل بينهما دقيق وخطير، فالبعض ينسب مفاسد ذاته إلى مجتمعه والبعض ينسب مفاسد مجتمعه إلى ذاته، وكلاهما مخطىء. كذلك الحال في زماننا. مما شهدته في نفوس الكثير جداً إن لم يكن معظم إن لم يكن الغالبية العظمى من المسلمين في بلاد العرب خصوصاً هو أن معظم مفاسد نفوسهم راجعة إلى مجتمعاتهم و أرض السوء التي يعيشون فيها تحت النظام الاجتماعي والسياسي القائم عندهم. لابد من تغيير الأرض إما تغييراً داخلياً وهو الأفضل وإما تغييرها بالهجرة وهو الأقرب والأنسب الآن حتى تتخلص النفوس من تلك المفاسد النابعة من المَلَكية والدكتاتورية العسكرية والفوضى السياسية السائدة في البلاد العربية. أكبر ثلاث مصائب يمكن أن تصيب أي أرض ومجتمع قائمة في البلاد العربية، من مصيبة المَلكية الفرعونية إلى الدكتاتورية العسكرية الثمودية إلى الفوضى السياسية البدوية الجاهلية. أحط بلاد الأرض اليوم هي بلاد العرب.

لذلك لا غرابة من انتشار مفاسد كثيرة وكبيرة في النفوس راجعة إلى "أرض سوء" لا إلى نوايا سوء وعقول سوء بالضرورة.

...

كنت اقرأ الفتوحات المكية اليوم-في أول رمضان لي بعد الهجرة-وفجأة أُلقي عليّ نعاس بالرغم من أني استيقظت قبل أنحو خمس ساعات فقط ونحن في وقت العصر، فنظرت داخلي فرأيت يد ابن عربي، وهو جالس أمامه مثل المكتب الذي يُكتب عليه، فرأيت يده البشرية البيضاء. يده اليمنى هي التي برزت لي بشكل خاص. وكنت أنظر كأني أنظر من الموضع الذي ينظر هو منه إلى يده إذا كان جالساً وهو ينظر إليها أي كأن عيني كانت داخل رأسه.

...

لو تعرف الأمم قدر الكرامات التي فتحها الله علينا نحن أمة النبي والقرءآن، لرأينا منهم ما يجعلنا نرى سبب قوله "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" وقوله "حسداً من عند أنفسهم". نحن غرقى الكرامات التي لو أُعطي عشر معشارها لأمة من الأمم لاستهانت بالصلب في سبيل دينها. لكننا مدللي الحضرة الإلهية. نسأل الله الشكر والعافية.

...

الدنيا بحر ظلمات. ذكر اسم "الله" فيه هو النور، شعاع النور الذي يخترق هذه الظلمات وتسجد له الظلمات ولا تقاومه ولا تستطيع.

...

{وإذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة} لماذا "الذين لا يؤمنون بالآخرة" تحديداً؟ ما العلاقة بين ذكر الله وحده وبين الإيمان بالآخرة، وما علاقة ذلك بالقلوب تحديداً؟

لكل نفس كمالها الخاص بها. النفس التي تذكر الله وحده يكون الله مرآتها فتبلغ كمالها الخاص بها لأنه ربها الذي يربّيها لتصل إلى كمالها المقدّر لها. الآخرة هي حين بلوغ النفس كمالها. حين تذكر الله وحده فإنك تذكر نفسك وحدها، لذلك "نسوا الله فأنساهم أنفسهم". لكن حين تذكر من هو دون الله فإنك تقارن نفسك به، فإن كانت نفسه أعلى من نفسك ستكفر بقيمة نفسك، وإن كانت نفسه أدنى من نفسك لن تبلغ كمال نفسك إذ ستراه فوقك وهو في الحقيقة تحتك، ونفسه لا تكون مثل نفسك من كل وجه أبداً، وإن كانت مثله ولو من وجه فإن ذكرك له يشير إلى اعتبارك إياه أعلى وأولى منك بالتالي لن تصل إلى كمال نفسك لأنك ستعتبر من هو مثلك أعلى منك فلن تصل إليه لاعتبارك إياه أعلى منك. فعلى كل وجه، ذكر غير الله يضر بالنفس. فالذي يسفه نفسه يكره ذكر الله وحده. وحيث أن الآخرة يوم رؤية النفس ما قدّمت

لنفسها من خير، فإن الذين لا يؤمنون بالآخرة يكرهون ذكر الله وحده لأنه سيريهم حقيقة أنفسهم إذا ذكروه وحده إذ هو مطلق ولا يعكس إلا صورتهم المقيدة كلما ذكروه وحده. وأما إذا ذكروا الذين من دونه إذا هم يستبشرون، لماذا؟ لأنك حين تذكر من هو دون الله فإنه سيكون صورة مقيدة، والصورة المقيدة تحصر العقل بها فتحجب النفس عن ذاتها، وحين يحصل ذلك تشعر النفس الغافلة براحة نسبية من حيث نسيانها لضررها وسفالتها وبعدها عن كمالها الذاتي المقدّر لها فترتاح لذلك وتفضّله على ذكر الله وحده، ولأنها لا تؤمن بالآخرة التي ستضطرها إلى ترك كل شيء وكل شخص ومواجهة الحقيقة وحقيقة النفس عارية كما قال " جئتمونا فرادى" وقال "حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه" فهم يكرهون ذكر الله وحده لأنه يذكّرهم بيوم توفية حسابهم كأفراد. فكل ذكر لأي شيء ينسيك فرديتك وفرادتك وتفردك في صلتك بالله هو ذكر من دون الله بالتالي يناقض ذكر الله وحده فيكون من شؤون الذين لا يؤمنون بالآخرة.

...

لو كان المقصود بالنجاة العيش في الدنيا، لما امتاز مؤمن عن كافر ولا نبي عن شقي لأن الكل سيموت حتماً "أفإن مات أو قتل". ولو كان المقصود بالنجاة دخول الجنة، لما كان لقصص القرءآن معنى معقول لأنها تظهر نجاة في الدنيا بعد هلاك قومهم. فالمعنى: الحرية. النجاة هي الحرية والقوة في الأرض، والعيش بحيث لا يكون فوقك قاهر. فلما قهرت الأقوام الرسل قهرهم الله وترك الرسل أحراراً.

...

الحرب بعد النبي في الأمة إنما هي حرب على تأويل القرءآن، وإلا فلن جد عادةً من يحارب غيره من أجل تنزيل القرءآن لأن الحرب في تنزيل القرءآن كفر مخرج من الأمّة والملّة. لذلك ستجد حتى فرعون كل زمان لا يبالي كثيراً إن تكلّم الناس في تنزيل القرءآن وصور أمثاله، لكن الكلام كل الكلام حين يتم تنزيل الأمثال على واقع اليوم وكشف تحققها في أشخاص اليوم. حينها سترى ما ذكره القرءآن من حرب الأقوام والرسل ماثلاً أمامك.

...

سألت الله أن ينجّي بعض الناس من الاستعباد في بلاد الذل العربية اليوم، ففتح لي "انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا"، وفعلاً هؤلاء ضربوا لي أمثال سوء فضلّوا بها بل وضربوا لأنفسهم أمثال سوء فضلّوا بها فلا يستطيعون سبيلاً للهجرة في سبيل الله بسبب ذلك. مَن صغّر أهل القرءآن أو لم يرض بمعيشة بسيطة طيبة لتكبيره نفسه ضلّ وهلك.

...
العالِم السعيد: الذي ينشر كل ما آتاه الله ولا يشغله الله بالخلق وإقبالهم عليه وتزاحمهم عنده لإعراضهم عنه. فيكون قد سعد بنشر علمه عند ربه، وارتاح بترك الناس له. ففاز في الدنيا والآخرة بفضل الله وعنايته.

...
لا يوجد كتاب ميت لكن قارئ ميت.

...
{هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين}
حين تعرض شيئاً على شخص أنت مضطر إلى رضاه، فلا تعرض عليه ما تريده أنت لكن ما يريده هو. وإن كان ما يريده هو لا تريده أنت، فاخرج ودعه. وإن كنت مضطراً إلى رضاه اضطرارك إلى الميتة ولحم الخنزير، فحينها بأقل قدر ممكن أعطه ما يريده لتحصل على رضاه الضروري.

...
فكرت ليلة أمس "هل أتعشى بالرغم من عدم شعوري بالجوع أم أكتب العلم؟" فاخترت أن آكل بدلاً من الكتابة. وبعد ذلك فتحت مثنوي الرومي سلام الله عليه فاستفتحت فخرج لي بيت مضمونه "من أجل لقمة، انقطعت عن الطريق". فتبت إلى الله.

...
استفتحت المثنوي لي ولصاحبي فخرج لي بيت عن خادم النبي وقصة منديل النبي الذي يمسح به فمه ويده وأنه لا يحترق بالنار. ففُتح لي أني منديل النبي الذي يطهّر أقوال وأفعال النبي من تحريفات وافتراءات الجاهلين، والحمد لله رب العالمين.

...
قال: لماذا الصيام من الفجر إلى المغرب؟
قلت: لأن الظاهر يعكس الباطن. والباطن هنا هو قراءة القرءآن "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءآن" وإشراق القرءآن مثله طلوع الشمس وغروبه مثل غروبها. فقال "إذا قرئ القرءآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون"، فاستماع القرءآن يوازي عدم الأكل والشرب أي عدم أكل الأفكار وعدم شرب الأذكار بل تستمع لما يقوله القرءآن في الخبر والأمر على السواء، والإنصات هو عدم مقاطعة قارئ القرءآن بالأسئلة والمجادلة وهما مثال الجماع فالسؤال والجدال هو جماع عقلي إذ فيه أخذ ورد وإعطاء واستقبال وتلقيح متبادل كالجماع. بالتالي عدم الأكل والشرب وعدم السؤال والجدال أمثال على استماع القرءآن والإنصات إليه. فلما كانت قراءة القرءآن مثل طلوع الشمس وانتهاء القراءة مثل غروب الشمس، كان الصيام من

الفجر إلى المغرب، لأن القرءان هو الشمس وقراءته إشعاعها. "ثم أتموا الصيام إلى الليل". فالليل بالنسبة للنفس هو انتهاء قراءة القرءآن. الشريعة ظاهر والطريقة باطن، الشريعة للجسم والطريقة للنفس، والجسم مثال النفس، ومدار الجسم على الطبيعة ومدار النفس على المعرفة والكلمة.

...

"لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله" لماذا ذكر "الله" هنا مرّتين؟
لأن الأولى "الله" بضم الهاء، اللهو. والأخرى "الله" بسكون الهاء، الله. فالأولى متحركة والثانية ساكنة. لأن الله يُذكَر في الآفاق وفي الأنفس. في الظاهر والباطن. إذ الهاء هاء الهوية، والهوية هي "الأول والآخر" كما أنها "الظاهر والباطن"، كما أنها في العلم "وهو بكل شيء عليم" وفي الخلق "هو الذي خلق". فزوجية الأول والآخرة، وزوجية الظاهر والباطن، وزوجية العلم والخلق، وزوجية الآفاق والأنفس، هذه الزوجية بكل تجلياتها عبّر عنها ب"اللهُ الله". أي حين ترى الله فقط في كل ذلك فالعالَم محفوظ إذ فيه ولي يستحق حفظ العالَم من أجله كما قال الرومي في كتاب فيه ما فيه ما معناه أن كل شيء موجود من أجل حفظ العالم لكن العالم موجود من أجل حفظ الولي. من هو الولي؟ هو الذي يقول "اللهُ اللهْ".

...

مجنون ليلى: وهو الولي الفاني في الهوية الغيبية المطلقة، فهو مجنون لأنه فوق العقل أي خرج من ثنائية العاقل والمعقول لأنه في الوحدة المطلقة، وليلى هي الهوية المطلقة لأن الليل فيه وحدة بينما النهار يُظهر التميّز بين الأشياء كذلك في الله تعالى فإن نهاره هو الأسماء الحسنى حيث يتميّز كل اسم عن غيره فالمنتقم غير العفو والكريم غير الجميل بينما ليله هو هويته المطلقة التي هي وراء كل زوجية من حيث كونها الظاهر والباطن معاً وكل ثنائية مستهلكة فيها، وليلى مثل على هذه الهوية المطلقة.

ومجنون ليلى أيضاً صاحب القرءآن، فهو مجنون كما قيل عن النبي "يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون" لأنه جاء بعقل أعلى من عقول أصحاب الدنيا وظاهر الطبيعة، أي جاء بعقل الملائكة والآخرة وباطن العالَم فكان مجنوناً بالنسبة لأهل الدنيا. والقرءآن ليلى لأنه روح من الغيب "أم عندهم الغيب فهم يكتبون" "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا".

وعلى هذين الاعتبارين يقوم تأويل قصائد مجنون ليلى، تأويل الفناء في الهوية المطلقة وتأويل صحبة القرءآن.

{ وأدنيتني حتى إذا ما فتنتني - بِقَولٍ يحلّ العُصم سهل الأباطح }

الله يدني عبده بالقرءان كما قال في سورة العلق "اسجد واقترب". ففتن الله النفس بجمال وقوة القرءآن، فأنزل العبد من تكبّره وبعده عن الله كالوعل-وهم "العُصم"- الذي يكون فوق الجبل فينزله المنزل إلى الهضاب المنبسطة، كذلك بالقرءآن ينزل الله الإنسان من تكبّره وبُعده عن فقره الذاتي إلى الله "كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى". فإذا نزل العبد من جبل تكبّره إلى أرض فقره وسجوده لله تعالى بسماع كلامه الجميل، حينها قد تطمح عينه إلى ما لا تستطيع أن تناله كما قال موسى "رب أرني أنظر إليك" بعد تكليم ربه له، فقال المجنون...

{ تجافيتِ عنّي حين لا لي حيلة - وغادرتِ ما غادرتِ بين الجوانح }

إذ لا يمكن للعبد أن يتحد بالرب إذ الرب رب والعبد عبد، فلا حيلة في الأمر إذ يستحيل ذلك وجودياً ومستحيل الوجود لا ينقلب واجباً ولا ممكناً. فبقي ما بين الجوانح أي النفس التي طارت إلى الأفق الأعلى المبين الروحي وقفت في موقف الخلافة ولم تستطع تعدّيه إلى الاتحاد بالرب فبقيت متشوقة بشوق الأبد إلى المزيد من القرب بوسيلة العلم "قل رب زدني علماً". وإرادة الاتحاد هذه عبّر عنها بقوله...

{ فما حبّ ليلى بالوشيك انقطاعه - ولا بالمؤدى يوم رد المنائح }

فلا حبها سريع الانقطاع ولا هو من الحب الذي يمكن أن يوهب، فلا ينقطع لأن من صميم النفس إرادة القرب من ربها إذ هو ربها ومصدرها وكل شيء يميل إلى أصله، ولا يمكن أن يؤدى يوم تُرد المنائح وهي ما يمنح ويوهب إذ لا يمكن ردّ الحب إلى من أعطاه لأنه ذاتي للنفس والذاتي للشيء لا يُفقد منه. فالنفس على ما هي عليه بحقائقها الذاتية ومن ذلك حب العبد ربّه فهو حب أزلي أبدي. وإظهار لهذه العظمة التي للرب في قلب عبده العارف به قال...

{ بما نلتِ يا ليلى من الحسن والبها - وعزّة آباءٍ كرامٍ جحاجح }

الباء من {بما} للقسم. فهو يقسم أولاً بحسن وبهاء ليلى أي الحسن والبهاء الذاتيا، فحسنها لأنها الوجود والوجود حسن والوجود ذاتي لواجب الوجود بذاته، والبهاء إشعاع الوجود الواجب بأشعة الموجودات الممكنة فهي بهاء وجوده من حيث كونها تجلياته. وأقسم ثانياً بعزّة آباء ليلى

الكرام ذاتاً وصفةً، وهو قسم بالأسماء الحسنى، فهي عزيزة من حيث كونها متعالية لا يمكن لعين من أعيان الممكنات أن تنال إطلاقها، وهي كريمة من حيث غناها الذاتي بالمعنى والوجود وكريمة صفة من حيث إسباغها لسماتها الذاتية على الموجودات الممكنة كالعليم الذي أكرم الموجودات بالعلم والرحيم الذي أكرم الموجودات بالرحمة. فالقسم هنا بالحق تعالى من حيث ذاته ومن حيث أسمائه، وأقسم بذاته من حيث وجودها ومن حيث إيجادها، وأقسم بأسمائه من حيث سماتها ومن حيث تجلياتها. وهو أصل كل تربيع في الوجود والخامس المركزي لأن الحق مركز الوجود والإيجاد والسمات والتجليات. فأقسم بكل ذلك لأنه الحقيقة الثابتة الوحيدة المستحقة لإثبات التغيّرات بإرجاعها إليها وهذا معنى القسم لأنه ذكر لثابت لإثبات متغيّر، كأن تعد شخصاً بفعل شيء فتقسم بالله عليه لأن الوعد ممكن الوجود فتقسم بالثابت الوجود عليه، وكذلك أن تقسم على صدق قولك لأن قولك ممكن الصدق وممكن الكذب فتقسم بالثابت المتحقق قطعاً والصادق وجوده ذاتياً على الممكن. فأقسم بذلك لماذا؟

{ تعالي نبع ديناً بدنيا لذيذة - فمتجر أرباب الهوى أي رابح }

الدين القيد، والدنيا من الدنو وهي لذيذة لأنها دانية من الرب تعالى فالدين هنا وفي هذا السياق الرمزي هو القيد الذي يُبعِد العبد عن الرب وهو ألم لذلك عكسه هو الدنيا اللذيذة. فأرباب الهوى في الله تعالى هم الرابحين الذين فازوا بقربه اليوم وذاقوا لذيذ كلامه الآن. فتركنا قيودنا الطبيعية وبُعدنا بالذهن الضعيف، وبعناه مقابل أخذ روح الله المتجلية بالقرءآن لأنها أقرب إلى الله إذ الروح أقرب إلى الله من الذهن، وهي لذيذة لأن القرءان كله حق وصفاء وليس مثل الذهن المضطرب بين الحق والباطن والصفاء والكدر. وفي الروح هوى بينما الذهن جاف وجامد بالنسبة له، لذلك تجد أهل الروح فيهم عقل وفيهم عشق، بينما أهل الذهن فيهم شيء من الفكر مع جفاء وجفاف المشاعر وموت القلوب وقسوتها، فأرباب الهوى ربحوا بينما أرباب الذهن خسروا من كل وجه. فما الذي سيحدث للنفس إذا فعلت كل ذلك؟

{ ونستغفر الرحمن من كل ما جرى - ويرجع منّا صالحاً كل طالح }

فأوّلاً نستغفر الرحمن، أي يسترنا الرحمن برحمته الواسعة فلا نظهر إلا كعباد الرحمن وليس كأشخاص تائهين في صحراء العالَم، وكل ما جرى ويجري إنما هو أنفاس الرحمن التي

نتنفسّها ونحيا بها ونُظهرها في كل أفعالنا كما كان الأنصار بنصرتهم رسول الله هم نَفَس الرحمن الذي جاءه من قِبَل اليمن، فكل ما جرى ويجري مستور بأنفاس الرحمن ونفحاته.

وثانياً الإصلاح، فكل طالح في نفوسنا، عقلاً وإرادة، سيرجع إلى فطرته الأصلية التي هي الصلاح الروحي قبل الفساد الطبيعي الناتج من الهبوط إلى البدن، فتصبح عقولنا بفضل نور القرءآن عقولاً قدسية، وإرادتنا بفضل أمر القرءآن إرادةً ربانية.

فنفوسنا مستورة بالرحمن وأعمالنا صالحة بالقرءان، وذلك هو الفوز العظيم.

...

قال يوسف "ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين"، وقال الله لمحمد "لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين". فمن هنا تأويل دخول مصر هو دخول المسجد الحرام أي فتح مكة. لذلك في فتح مكة قال علي للقرشيين أن يطلبوا العفو من النبي كما طلب إخوة يوسف منه العفو فقالوا "أخ كريم ابن أخ كريم" كما قال النبي عن يوسف أنه "الكريم بن الكريم بن الكريم". فلما سمع النبي ذلك منهم قال لهم كما قال يوسف لإخوته "لا تثريب عليكم اليوم".

القرءآن قصة محمد، من وراء حجاب وبدون حجاب. من وراء حجاب هو التنزيل، وبدون حجاب هو التأويل.

...

حين تذهب إلى السوق تذكر يوم الحساب. فالدنيا هي السوق، تختار ما تريده فيها، ثم تأخذه عند الموت إلى المحاسب وهو تجلي الحسيب تعالى، الذي سيوفّيك حسابك ثم يبلّغك بقيمة ما اشتريته، فإن كنت تملك المال وهو النية الصالحة والتوحيد ستأخذ ما اخترته وتخرج به غنياً في الجنة، وإلا ستخرج مفلساً إلى فراغ النار. لكل ظاهر باطن. ولكل دنيا آخرة.

...

قالت: مساء الخير. عندي سؤال شاطح مليون. لو احد اليوم دخل معبد او كنيسة وكسر الاصنام الي فيها حنعتبره ارهابي. طيب لمى نفكر في سيدنا ابراهيم في تكسيره للاصنام. مايعتبر الفعل ارهابي ؟

قلت: مساء النور سؤالك طبيعي جداً وطرحته أنا في كتبي من فترة وناقشته. لا يوجد سؤال شاطح، وكل سؤال نافع. بالنسبة لإبراهيم، توجد أجوبة: الأول، قومه كانوا يجبرون الناس بالعنف على تأليه الأصنام، بدليل أنهم ألقوه في النار لما كسرها وهدده أبوه بالرجم لما خالف عقائدهم فيها. فبناء على ذلك، يجوز لمن هذه حالته أن يجرّب قيمة هذه العقائد ولو بالعنف

معها، كما فعل إبراهيم "مالكم لا تنطقون". الثاني، أبو إبراهيم، يقال، كان صانع الأصنام. ومن الممكن أن إبراهيم كان يساعده بالتالي بنى معه بعض الأصنام، وهذه هي التي كسرها لأنه هو الذي صنعها فهو يملكها من حيث أنه صانعها. (هذا أبعد جواب). الثالث، قصة إبراهيم مَثل ورمز وليس فعلاً مادياً طبيعياً، على أساس أن كل قصص القرءان أمثال تشبه عالَم الرؤيا. فكما أن معلم موسى قتل غلاماً بريئاً ولا يعقل أنه فعل ذلك مادياً بحجة عقوق الوالدين لأن هذه ستكون جريمة حتماً يستحق عليها القتل. وكذاك في بقية القصص. فمبدأ كون قصص القرءان أمثال "صرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل" يجعلنا ننظر لكل القصص بعين تأويل باطنية، فلا ينطرح مثل هذا السؤال المادي أصلاً. (هذا من أقوى الأجوبة عندي)الرابع، إبراهيم فعل فعلاً ولم يبالي بعقوبته لذلك تعرض للإلقاء في النار فعلاً والله تركه لأنه يستحق العقوبة من وجه لأنه تعدى على أملاك الآخرين. لكن لما كان فعله بنية تعليمية حماه الله من أثر العقوبة فجعل النار عليه برداً وسلاماً. الخامس، الذي يعرض على الناس عقيدة ويفرضها عليهم جبراً، لا حجة له في كيفية نقد الناس لهذه العقيدة. ومن نقد الأصنام ما فعله إبراهيم. لذلك اعترف لهم بها فعلاً. السادس، الإرهابي يعتدي لأنه يكره ولأنه يجد نفسه أقوى من الآخرين المعتدى عليهم ولأنه يريد التدمير فقط، ويهرب عادةً بعد فعله. أما إبراهيم فإنه انطلق في تكسيره من حبه الهداية لقومه، ولأنه يعتبر نفسه معلماً لهم، ويريد لهم التنوير، وأهم شي أنه وقف برجولة أمامهم وتحمّل مسؤولية فعله. هذه ستة أجوبة تصلح لسؤالك.

قالت: رقم ثلاثة فاهمتها كفكره بس جاني سؤال هل القصص الي انحكت فقط امثال ماصارت ابدا بشكل مادي؟

قلت: بالنسبة لي مو مهم صارت ولا ما صارت المهم انها مثل يمكن ان يظهر باشكال مادية مختلفة في كل زمان مثلاً. فرعون غرق. في المثل غرق الماء. لكن لاحظ ان النبي قال عن ابي جهل "فرعون هذه الأمة". فكيف انقتل فرعون؟ غرق برضو. لكن شكل الغرق كان انه طلع فوقه ابن مسعود وأهانه وقتله. فكما ان الماء شيء بسيط وغرق به فرعون، نفس الشي ابن مسعود كان بسيط في المجتمع وابو جهل نفسه كان يحتقره ويسميه "رويعي الغنم" وابوجهل غرق بابن مسعود. زي كدا.

...

قالت: ما الفرق بين أولي الألباب وأولي النهى؟

قلت: قال عن أولي الألباب في سورة آل عمران "أولو الألباب. الذين يذكرون الله..ويتفكرون في خلق السموات والأرض..ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار"، فالعالَم قشر والله لبّه فلمّا ذكروا الله كانوا أولو لبّ، وظاهر خلق السموات والأرض قشر ومقصد الخلق والعلاقات بين المخلوقات غيبية وراء الصورة وتنال بالفكر بإذن الله فلما تفكروا في الخلق صاروا أولي لب، والدنيا قشر والآخرة لب فلما عرفوا حقيقة الآخرة ودعوا للنجاة في الآخرة كانوا أولوا لب. فلما جمعوا بين لب ذكر الله ولب التفكر في الخلق ولب معرفة الآخرة وطلب النجاة فيها كانوا من أولي الألباب.

لكن في سورة طه قال "أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى". فالنهى من النهي، فلما رأوا هلاك من قبلهم وعرفوا أسباب ذلك وتجنّبوا هذه الأسباب المهلكة كانوا من أولي النهى.

فالعقل حين يكتشف لب شيء يكون اسمه لب، وحين يأمر بالانتهاء عن سبب عاقبته الهلاك يكون اسمه نهى. شيء واحد تتعدد أسماؤه بتعدد أعماله وتجلياته.

...

ليلة القدر بوابة الأزل من صورة الزمن. فكل ليلة قدر تكون ليلة قدر لأن العبرة ليست في صورة الزمن وعدده لكن في حقيقة انفتاح القلب على تنزّل الملائكة بالألوكة أي الرسالة وتنزّل الروح بقوة الروحانية وهي العلم والحقيقة بإذن ربهم الحي، فبما أن القلب ليس من عالَم الزمان والمكان فكل ليلة قد تكون ليلة قدر. فمن هنا قال بعض أهل الله "كل ليلة هي القدر-وكل إنسان هو الخضر" لأن كل إنسان أيضاً في باطنه فطرة إلهية هي الدين القيّم بالتالي يوجد خضر مدفون وولي مكتوم في كل فرد، بغض النظر عن انبعاثه الكامل وتحققه ظاهراً وباطناً كما هو قائم في عين الفطرة التي لا تتبدل.

...

{ق والقرءان المجيد} قاف. ق. ا. ف. الحرف الأول-ق-من الحنجرة، والثاني من الصدر، والثالث من الشفتين. المعنى هكذا: اتلُ كلام الله بحنجرتك، ثم تعقله وتفقه فيه واذكر الله به حتى ينشرح به صدرك وتذوق طعمه وحقيقته في قلبك، ثم بّلغه للناس وأظهر المعنى الذي ذقته ووجدته وتغيّرت حياتك به وصلحت أعضائه بسبب استقراره في قلبك. فإن فعلت ذلك سيكون قرءانك مجيداً. لكن إن لم تفعل، كالخوارج الذين يقرأون القرءان-أي الحرف الأول ق- لكن القرءان لا يجاوز حناجرهم وتراقيهم، بالتالي لم ينزل لجهة قلوبهم، فخرج من الحنجرة إلى الشفتين فكان قرءانهم خسيساً ومنحطاً وقليلاً ومشوهاً أي قرءانهم غير مجيد.

قد يقال: فلماذا قال أهل التفسير من الأوائل عن حرف ق أن المعنى اسم الله أو اسم للقرءان أو جبل محيط بالأرض؟

أقول: لكل حرف ثلاثة مظاهر، لأن الحروف قبل حتى الأسماء الحسنى بدليل "الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم" فأحرف الألف واللام والميم قبل ذكر أسماء الله وحقيقته، لأن الأسماء تتكون من الحروف، بالتالي الحروف أعلى رتبة، والحروف هي أول تجليات الهوية الغيبية الأحدية، وهي أول نهار رآه الوجود، فإن النهار يميّز بين الأشياء وأوّل تميّز حدث هو التميز بين الحروف، ثم منها تركّبت وصنعت الأسماء الحسنى، ومن هنا تنزّلت الحقائق والأعيان. لذلك قالوا في قاف أنه اسم إلهي واسم قرآني وجبل أرضي. فهذا بيان من حيث الأمثال وشرح عبر ذكر مظاهر الجوهر المراد تعريفه. وإلا فالحرف ذاته وراء هذه التقييدات التعريفية لأنه قابل لها كلها، فلا تعارض بين كون ق اسم إلهي واسم قرآني وجبل أرضي، كله حق. فالقاف تجلّى في مستوى الأسماء الحسنى كافتتاح اسم القريب والتوسط في اسم الرقيب وختم اسم الحق. والأسماء الإلهية مبدأ القرءآن ومصدر كلام الله ومن هنا تجد ذكر الأسماء في أول الآية مثل "الله لا إله إلا هو" وفي وسط الآية مثل الكثير وفي خاتمة آية مثل "وهو العزيز الحكيم" وربط كل شيء من الموجودات والإيجادات بالأسماء الحسنى لذلك. وأما الجبل الأرضي فالآفاق والأنفس كلها إنما هي مظاهر الأسماء وحقائق القرءآن. هذا تأويل.

تأويل آخر عن كون ق هو جبل محيط بالأرض. الجبل شيء بين السماء والأرض، كذلك القرءان طرفه بيد الله وطرفه بأيدي المؤمنين. والقرءآن بمحيط بأرض الحقيقة لأن فيه تبيان كل شيء والحجّة على كل شيء وفيه السنن الحاكمة لكل حدث والكاشفة لنفوس كل شخص.

...

خلق الله حواء لآدم، تأويله: أيها الرجل لا تبحث عن امرأة لكن اعلم أن الله سيبعث لك المرأة المناسبة لك إن شاء وإن لم يشأ فكن إدريسي الحال فقد كفاك.

...

النظر إلى أي إنسان غير إنسان تتكلّم معه أو لك عنده غرض ومعاملة بينك وبينه هو من فضول النظر ويشتت العقل وينجّس القلب. لا تنظر في وجه أي إنسان ولا تتكلم مع أي إنسان ولا تبحث في وجوه الناس أثناء مشيك في الشوارع. انظر عند موضع قدمك، وفي عين مَن يحدّثك والسلام. جرّبت مخالفة هذه القاعدة كثيراً ولم تأتي لي إلا بالوبال والسوء. فخذها منّي قاعدة عقلية نقلية ذوقية.

...

قد تكون الفرضية الخاطئة سبباً لجدل طويل وتنظير عريض لا داعي له.

مثلاً، يفترض البعض أنه من المفروض أن يخرج كل ولد سليم الأعضاء صحّته تامة، فحين لا يجد ذلك يستغرب ويبدأ بالجدل والتنظير حول عدل الله ووجوده أو التناسخ والحيوات السابقة التي استحق فيها المولود هذه الحالة، أو غير ذلك من القضايا. بين الفرضية نفسها هي المشكلة وجذر الخطأ والضلال. لا يوجد شيء يوجب من أي وجه من الحكمة أن يكون كل مولود سليم الجسم تماماً. بل من الرحمة بالمولود أن لا يكون سليم الجسم لأنه مع كل عضو يفقده يضع عنه ربه تكليفاً متناسباً معه، "ليس على الأعمى حرج" لكن على المبصر حرج فتشهد عليه عينه يوم القيامة ويقع عليه تكليف "غضوا من أبصاركم" و"انظروا ماذا في السموات" وغير ذلك، فلمّا فقد بصره خفف عنه تكليفه. وقس على ذلك. وأحسن المواليد حظاً الذي لا يولد حياً أصلاً. "يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً". نعم هذه مصيبة لأهله لكنها نعمة له وسيعرفها هو وأهله في الآخرة شهوداً وإن لم يعرفوها في الدنيا إيماناً.

...

نحن في زمن يحتاج العارف إلى أن يُظهر كراماته وخصوصياته وخوارق عاداته في سبيل الله ورسوله ودينه. ففي زمن انتشار الدين كان إخفاء الكرامة قد يكون له وجه، قد. لكن في مثل زماننا يجب إظهار ذلك، إظهاره كله. فلا تخشى ولا تتردد من إظهار ما اختصّك الله به وأكرمك به وأعطاك القوة عليه في أمر تغليب الروح على الجسم، وكشف حقائق الوجود والإخبار عن الغيب، وما سوى ذلك.

...

غاية الطريقة الحية: إيقاظ خضرك وإدامة ليلة قدرك. لأن العلم لا حد له فلا يمكن حصره في عقيدة ثابتة، والعلم ما ذقته لا ما نقلته، ولأن الحق لا يتجلى بتجلي واحد مرّتين ولا يتكرر تجليه لسعته الذاتية المطلقة. ثم لأن الإذن الحي يأتي من الحي الذي لا يموت لا من حي يموت، ويأتي المفتاح من الفتّاح لا من المفتقر إلى الفتح. فالطريقة غير مبنية على عقيدة وإذن، إلا من حيث صورة الطريقة لتنبيه الناس على أمر وجود حقيقة مطلقة متعالية على الذهن وتخمينه والطبيعة وحدودها، وكذلك على وجود إذن عمودي من ما وراء إرادة وقدرة البشر حصراً فيتم تصويره بالإذن الأفقي بوسيلة البشر المتلك لإذن خاص يرجع عبر سلسلة تاريخية إلى مصدر فوق تاريخي. فالعقيدة الصوفية تكشف عن علم ما وراء طبيعي، والإذن الصوفي يكشف عن إرادة ما فوق الطبيعة. لكن لا يمكن لا نيل العلم ولا الإذن الحق الحي إلا بذوق وصلة مباشرة واجتباء خاص من الحق تعالى. فالطرق الفاسدة هي التي تريك الشيخ خارجك فقط ولا توقظ شيخك الباطني، خضر ذاتك. وهي التي تعتمد على أزمنة وحدود طبيعية ولا تريد طريق فتح باب يعرج بك إلى ما وراء الزمان.

...
إن أغناك عن الزوج بالطلاق بعد وجود ولد حتى لا تكون هالكاً بعدم الولد، وإن أغناك عن المعاش ولو لفترة بقدر من المال يسّره لك يكفيك فترة، وإن حررك من الطغاة فكان تعبيرك ودينك حراً، فأولى ما تشتغل به هو دراسة كتاب الله وتعليمه والإقبال بجمع الهمّة على الذكر والعبادة والرياضة النفسية.

...
الغريب هو الكافر والغافل. وأما أهل القرءان فهم في وطنهم في هذا العالَم لأن العوالم ومن فيها كلهم من المسلمين "وله أسلم من في السموات والأرض"، فهم إخوتهم في الدين. كل من حولك مسلمين. اعلم ذلك وتذكره. حتى الحجر وذرات التراب المتطايرة في السماء. فأنت في وطنك وبيتك وبين أهلك في العالَم ما دامت مسلماً لله تعالى ومشتغلاً بما خلقك له. وغريب ما لم تكن كذلك ولو كنت وسط شعوب وقبائل من ذريتك وفي أرض تملك حكمها وثرواتها، فإن الكل أعدائك إن رأيت بعين بصيرتك وسترى شيئاً من ذلك ولن تشعر بألفة الكون أبداً.

...
سألت الله اليوم شيئاً فأرسل لي في خاطري يقول "لا تسألني وكأني لم أُنزِل كتابي". فاستحييت. وانضرب لي مثل مضمونه: تخيل أن يكون لديك طباخ في بيتك فترسل له رسالة قبل وصولك البيت تقول له فيها "اطبخ لي شوربة عدس"، فلما رجعت البيت وجدت طباخك يقول لك "ماذا تريد على العشاء؟"، سؤاله هذا إهانة لك وإعراض عن أمرك إن كانت رسالتك قد وصلت له، فأي عبث هذا أن تقول له ماذا تريد ثم يسألك ماذا تريد.

...
يقولون: لماذا هاجرت؟
أقول: فداء لأمة محمد. فإن هجرتي وتبليغي وكتبي فيها قيام بفرض كفاية لو لم أقم به لوقع الإثم على جميع الأمة.

...
أنا أتصنع الغفلة مع الغافلين والجهالة مع العالِمين. حتى لا يتغيّر غافل إلا لأنه يريد التغيّر من داخله لا بسببي من خارجه. وحتى ينبسط العالِم بإفاضة علمه ولا يتحوّل إلى اليد السفلى بالأخذ من تعليمي له. فإرادتي التغيير الفردي الجذري للغافل وإرادتي علو وانبساط العالِم يجعلني مع الناس على غير حقيقتي الروحية الكلية، مما يجعلني أستوحش من جهة من الناس وأؤثر العزلة. ولو ذكرت أمام الغافلين لاستوحشوا مني ولقاطعوني ولو فعلوا ذلك لهلكوا، ولو تكلمت أمام العالِمين لخشيت عليهم مجادلتي وردّ كلامي عليّ فيهلكوا. إيثاراً لهم على نفسي صرت لهم على ما يناسبهم أكثر مما يكشف حقيقتي.

...

بغض النظر عن ما يحدث في السماء والأرض، فإن برنامجي اليومي من أعمال الطريقة الثمانية لا يتغيّر وهو يملأ يومي بحمد الله وإمداده. لذلك أنا ثابت وسط متغيرات، وإن تغيرت مع بعضها فلا تتغيّر طريقتي وسنّتي العامّة. طريقتي فُلك وسط الأمواج.

...

مشكلة أكثر الناس أنهم لا يعرفون سرّ قدر الله. مشكلتي أن الله علّمني من سرّ قدره لي وما يتّصل بي.

...

الذي يكتب لدينه لا يحتاج إلى تكلّف ولا شكليات وضعها غيره. الذي يكتب للدنيا يحتاج إلى التكلف والشكليات. أنا أكتب ولا يغيّر كتابتي ولا طريقتي ولو لم يقرأ أحد حرفاً من كتبي، هذا مع أني أسعى لتصل كتبي إلى الكل بالقدر الذي لا يشوش عليّ عملي ونيتي. من كان فيه خير لي فأسأل الله توفيقه لتصل إليه كتبي وصوتي. "لا تعلمون أيهم أقرب لكم نفعا".

...

توجد أصوات تتناسب مع ديننا، وصور وألوان تتناسب مع ديننا، بل وحتى ملمس الملابس التي نلبسها وملمس الأرض التي نمشي عليها أيضاً قد يكون متناسباً ومتوافقاً مع روحنا القرآنية وقد لا تكون. الذي لا يبالي ماذا يسمع وماذا يبصر وماذا يلمس ونحو ذلك ويعتبر هذه المحسوسات لا قيمة لها في أمر الدين فإنما هو شخص عديم الذوق ولا أراه إلا مشتملاً على بذرة كفر أو إلحاد ولعلها شجرة لا فقط بذرة ومن ثمارها الشيطانية مثل هذا الانعدام للذوق والجهل بالعلاقة بين الحس والنفس. إن استمعت إلى صوت الناي وإلى صوت البيانو ولم تجد فرقاً بينهما في صلتهم بروحك وقدرتك على استشعار لب دينك فيؤسفني إبلاغك أيها المريض أنك مصاب بمرض خطير يحتاج إلى علاج مكثّف قد يصل إلى الكيماوي. أسوأ صوت للناي فيه من روح الإسلام أكثر من أحسن صوت للبيانو. من هنا افتتح الرومي بباء البسملة وذكر الناي معاً "بشنو از ناي"—أي استمع إلى الناي. فإنه بذلك يمهّد للنفس استقبال كلامه الروحي الذي هو "كشّاف القرآن" كما قال في مقدمة المثنوي. وقل مثل ذلك في اللباس والمسكن وكل محسوس، حتى طعم الطعام يوجد منه ما يتوافق مع روح القرءان ومنه ما يتنافر معها. إذا أكلت تمرة فأنت أقرب إلى القرءآن منك إذا أكلت سوشي أو برغر. القضية ليست حلال وحرام، القضية أكبر من ذلك وأعمق. قد يكون حلالاً ويحلّ دم روحك. الحس مجلى روح القدس. وروح القدس تجلى لنا بهذا القرءان وبالنبي العربي، فسنجد في ما يتناسب مع هذا الحس الخاص آثار من روح القرءآن وقرب منه واستشعار لحضوره أكثر وأكبر مما سواه.

خرقة تعتمّ بها أجمل قرآنياً من قبعة مزخرفة بالذهب ولو كتبت بالذهب اسم الله على القبعة. والذي يلبس الجينز ولا يكفر بالله فهو من أولياء الله—الأفراد الذين ينبغي التبرّك بآثارهم.

...

(من مجلس سورة مريم الآيات ٥٨-٦٥)

{ أولئك الذين أنعم الله عليهم } فهم مظاهر الصراط المستقيم الذي تدعو ربك به في الفاتحة. فالصراط مشخّص بالناس.

{ من النبيين } نبيين وأنبياء مثل عالمين وعلماء. لكن الفرق أن كل نبي عالِم لكن ليس كل عالِم نبي. فالنبي يأتيه الوحي في قلبه من ربه وبوسيلة ملائكته زائد علمه به، لكن العالِم يأتيه الوحي بوسيلة نبيه فيتعلمه. توجد ثلاثة فروق بين علماء وعالمين نجدها من دراسة آية العنكبوت وآية فاطر. والفروق باختصار: العلماء يرون الآيات وصلتهم بالله ولهم الخشية. العالمون يسمعون الآيات وصلتهم بخلق الله ولهم التعقل. فلما قال هنا {النبيين} قياسهم على العالمين. لذلك سنجد الآيات من زكريا إلى إدريس في سورة مريم تتحدث عن سماع نداء وإتيان أنباء أي الجانب السماعي من الوحي، والعلاقة بخلق الله كعلاقة زكريا مع زوجه ومواليه ويحيى، وعلاقة مريم بقومها وابنها ، وعلاقة إبراهيم بأبيه، وعلاقة موسى بهارون بالنص والمفهوم علاقتهما بفرعون وبني إسرائيل، وعلاقة إسماعيل بأهله، وعلاقة إدريس بذاته وبعرش ربه الذي هو تأويل المكان العلي. فهذين فرقين ظاهرين في الآيات.

{من ذرية ءآدم، وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل} لا يوجد كلام زائد في القرءآن، مثل "يكتبون الكتاب بأيديهم" فأيديهم ليست زائدة بل تشير إلى أنهم لا يكتبون بيد الله التي تتجلى في رسله "يد الله فوق أيديهم". كذلك هنا ، إن كان المقصود بذرية ءآدم فقط أول البشر فالكل ذريته فما معنى هذا التقييد؟ معنى: إذا سألت نفسك كيف أنسلك في سلك هؤلاء المنعم عليهم من النبيين؟ سيجيبك: كن من ذرية ءادم. ممن حملنا مع نوح. وذرية إبراهيم وإسرائيل. أي كن من مظاهر مَثَل ءآدم لا مثل إبليس، ومثل من حملهم الله مع نوح وليس ابن نوح ولا من كفر بنوح، ومثل إبراهيم ومثل إسرائيل الذي هو يعقوب بعدما أسرى إلى مصر يوسف وسجد له هناك فغيّر اسمه لأنه فعل عظيماً بالتسليم بأمر الله باجتباء يوسف عليه وأمره بالسجود ليوسف كالشمس حين سجدت له في رؤياه هذا بالرغم من كونه أبيه بل ونبي مثله إلا أنه لم يتكبّر بأبوته ولا بنبوته فكان له مقام عظيم أعطاه اسماً جديداً يختصّ به لذلك إذ هاجر

فوق كل ذلك لابنه في مصر ليسجد له إقراراً بأمر الله واجتبائه، فجمع بين الإقرار والهجرة في آن واحد بالرغم من كل العوائق النفسية والمادية. فهذه الأركان الأربعة، ءآدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل، هي أركان بيت النبوة والنعمة، فابنِ بيتك على شاكلتها.

{وممن هدينا واجتبينا} تأويل: قد تكون مهدياً غير مجتبى، كما قال "الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب" ففرق بينهما، لكن هؤلاء النبيين هم ممن جمع لهم بين الهداية والاجتباء. تأويل آخر: الاجتباء للمشيئة والهداية للإنابة، فالمعنى إذا كانت مشيئتك هي السلوك في طريق الله والإيمان، وأنبت فعلاً قلباً وقالباً، أي جمعت بين المشيئة والعمل، فأنت ممن اجتباه وهداه. كذلك طريق النبيين فيه جمع بين المشيئة والعمل.

{إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّدا وبكيا} هذا محور النعمة وأساس الطريق. المدار على آيات الرحمن، على القرءآن بالنسبة لنا. وفي الجملة إشارة إلى معاني تفاعلهم مع آيات الرحمن، فمن جهة يوجد سماع للتلاوة، وتركيز وحضور مع القارئ، ثم يوجد تعقّل لأنه قال " أنزلناه قرءآنا عربيا لعلكم تعقلون" وقال "إذا قرئ عليهم القرءآن لا يسجدون" إذن التعقل سجود وهو بداية سجود الظاهر. والخرّ سجداً فيه معنى التسليم للحق الذي تبيّن بعد تعقل القرءآن حتى لا يكون كالذين "جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً" فالخرّ سجداً ك"خر عليهم السقف من فوقهم" نفياً للعلو بإظهار الانخفاض باطناً بالتسليم وظاهراً بالتجسيم حتى يتوافق الظاهر مع الباطن. والبكاء من المشاعر. والقرءآن فيه فكر وأمثال وأوامر، فالفكر للعقل، والأمثال للخيال والأوامر للإرادة، ولكل واحد سجوده. وهذه الآية تتناسب مع خواتيم سورة الإسراء فقارن بينهما.

{فخلف من بعدهم خلف} البعدية هنا ليست بعدية زمان، لأن الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات كانوا في كل قصص النبيين أيضاً فمع زكريا مواليه ومع مريم قاذفيها ومع عيسى الأحزاب ومع إبراهيم أبيه وقومه ومع موسى فرعون وضلال بني إسرائيل وهكذا. البعدية هنا هي من قبيل "فماذا بعد الحق إلا الضلال". أي كل ما بعد أمثال النبيين هم {خلف} السوء هذا. فكيف تعرف أن الأمثال والأسماء هي من التي ينطبق عليها {فخلف من بعدهم خلف}؟ الجواب: {أضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات}. فالصلاة عمل الروح، والشهوات عمل الجسم باستقلال عن أمر الروح وإلا فليس من الشهوات ما كان في حدود الشريعة والطريقة. الصلاة متعلقة بآيات الرحمن، إرادة وفكراً وشعوراً وخيالاً وحساً، لكل واحدة صلاتها. فمن ترك هذا

انتهى به الأمر إلى اتباع الشهوات. هذا تأويل. تأويل آخر، قد يحافظ على الصلاة ويتبع الشهوات في آن واحد من باب الصراط بين الروح والجسم، وقوى الملائكة وقوى الشياطين على النفس البرزخية "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها". فالخلف هم الذين يجمعون بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات في آن واحد. فنفوسهم قد احتجبت عن الروح بالكلية بإضاعة الصلاة والاتصال بآيات الرحمن، فتوجهت بالتالي إلى أبدانهم السفلية واستغرقت فيها وهذا اتباعها الشهوات. فما عاقبة ذلك؟ {فسوف يلقون غيا} من الغواية، ومن العي أي المرض، ومن عي اللسان أي فساد النطق والكلام، كل ذلك سيكون حالهم عقلاً بالغواية في المظاهر الدنيوية ونفساً بالأمراض القلبية ولساناً بفساد كلامهم وصيرورتهم أهل لغو وكلام فارغ من الحق.

{إلا مَن تاب وءامن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلَمون شيئاً} التوبة عمل الإرادة وذلك بمداومة الرجوع إلى الله وكتابه، والإيمان عمل العقل أخذاً للآيات ورؤية لها في الآفاق والأنفس، والعمل الصالح عمل الجسم وإظهار مقتضيات الإيمان في الأرض. هذه هي الصلاة وإقامتها من كل وجه. فمن فعل ذلك {فأولئك يدخلون الجنة} التي هي القرءان اليوم، {ولا يُظلمون شيئاً} فدخول الجنة لأن النفس بشكل عام صارت جنة بحكم التوبة والإيمان والعمل الصالح، لكن توجد تفاصيل أي توجد توبة يوم كذا وتوبة من صنف كذا، ويوجد هذا الإيمان والإيمان بالآية الفلانية والعلانية، ويوجد هذا العمل الصالح وذاك العمل الصالح، فتوجد تفاصيل كثيرة لجزئيات النور لا فقط كون النفس في المحصلة وبعد الوزن نورانية، فهل ستضيع هذه التفاصيل في الجنة والعبرة فقط بدخول الجنة بعد الحكم الكلي المجمل على النفس؟ أجاب بأن لا بل {لا يُظلمون شيئاً} كما قال في قصة صاحب الجنتين "كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً" أي أخرجت كل ما في باطنها، كذلك هنا النفس بعد دخول الجنة لأن النفس ذاتها صارت جنة بالقرءان، فإن الله سيجعلها ترى كل خير في باطنها مجسداً في عالَمها الأخروي كما قال "من يعمل مثقال ذرة خيراً يره" و "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً".

{جنات عدن} هي سور القرءآن. وعدن ثلاثة أحرف مقابل التوبة والإيمان والعمل الصالح. {التي وعد الرحمن} الذي أنزل الآيات، التي فيها-كما في سورة الرحمن-كل مظاهر الدنيا والآخرة، والإنسان والآفاق، والجنة والنار، والله والعالَم، والظاهر والباطن، واللذة والعذاب، كل ذلك من الرحمن. {عباده} وليس عبيده، بل عباده الذين اختاروا الطاعة وأسلموا بإرادتهم

الحرة، {بالغيب} لأن النفس غيب فالجنة الآن قائمة في غيب نفسك فلا تطلب الجنة في الشهادة والمظاهر كالجاهليين الذين يعتبرون سعة الرزق المالي إكرام إلهي وتقدير الرزق المالي إهانة إلهية، بل كل ذلك فتنة، وكل شؤون الجسم بأضدادها فتنة وابتلاء، ولا يوجد شيء منها يدل بذاته بالضرورة على النعمة الإلهية، بل الوعد {بالغيب} وليس بالشهادة، لذلك هو بالعلم ونور القرءآن الذي هو غيب في الحقيقة وأثره في غيب النفس والباطن. فهل هذا الوعد سيأتي فقط وهو الآن منعدم أم هو الآن موجود وسيأتي له ظهور آخر بعد ذلك؟ أجاب فقال {إنه كان وعده مأتيا} فهو موجود الآن، أتى أمر الله الآن، لكنه أيضاً سيأتي، فليجمع بين الإشارتين قال {مأتيا} وأشار ب{كان} إلى الماضي أي الشيء المتحقق القائم الآن والذي لم يزل كما قال عن ذاته "كان غفوراً". فقوله {مأتيا} مثل خواتيم الإسراء التي فيها "كان وعد ربنا مفعولاً" أي هو الآن مفعول، متحقق الآن، وما هو باطل الآن وسيتحقق لاحقاً. لكنه الآن أين؟ {بالغيب}. وتذوقه بدراسة القرءآن وإبصار النفس "وفي أنفسكم أفلا تبصرون".

فإذا أبصرت نفسك فستجد فيها الجنة والنار، أو الجنة فقط إن صرت مخلصاً بالتوبة والإيمان والعمل الصالح بآيات الرحمن حتى لا يبقى فيه شيء من الظلمات أو تصبح ضئيلة جداً مغمورة ببحار نورك. وكيف تعرف حال نفسك إن كان تحوّل إلى جنّة؟ قال {لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاماً} هذه العلامة الأولى، أن تسمع لحديث نفسك فلا تجد إلا حديث ربك، الحديث النافع، حديث العلم والحكمة، حديث يبعثك على عمل الصالحات والخير. والعلامة الأخرى {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا} مقابل تسبيحك بكرة وعشيا، أي حين صرت تسمع لآيات الرحمن ولا شيء غيرها وتعرض عن مجالس اللغو وتقبل على مجالس القرءآن، كان الجزاء جنة لا تسمع فيها لغواً إلا سلاماً. ولما كان لك ورد محفوظ من الصلاة بالقرءآن بكرة وعشياً، أي في أول يومك وبعد راحتك وفي وقت نشاطك صباح ومساء وقبل العمل للمعاش وبعد الراحة منه، فإن الله سيرزقك بصلاتك بالقرءآن ودراستك له كما قال "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك" فالله يرزقك رزقاً علمياً وروحياً بصلاتك بكرة وعشياً فينعكس ذلك في الجنة أيضاً. فإن كان يومك كله دراسة للقرءآن بوجه أو بآخر، فإن رزقك في الجنة يكون أيضاً بهذا القدر. فأورادك في الدنيا هي وارداتك في الآخرة. فاستكثر من ذلك ما استطعت وحافظ عليها.

{تلك الجنة} جنة القرءآن. {التي نورث} ذكر الميراث إشارة إلى باطن آيات الميراث، وقد قال "ثم أورثنا الكتاب". والميراث حق للوالد والولد والأخ والزوج. ثلاثة روابط دم وواحدة رابطة إرادة.

والدم ثابت والإرادة متغيرة إذ فيها الطلاق. باطن ذلك: كلما ازدادت نسبتك للقرءان كلما ازدادت ميراثك منه. فكن للقرءان والداً وولداً وأخاً وزوجاً حتى يكتمل نصيبك منه وترثه كله. فالوالد كأن تقرأ القرءآن وتستنبط منه المعاني، وكن ولداً للقرءآن بأن تتعلم منه وتتشكل نفسك بحسب النطفة المعنوية الخارجة منه، وكن أخاً بأن ترتقي إلى الأخذ عن أم الكتاب المعراج الروحي فتأخذ من نفس مشكاة النور التي نزل منها القرءآن "وإنه لفي أم الكتاب لدينا لعلي حكيم" فإن بلغت أم الكتب صرت كما قال ابن عربي "القرءآن والإنسان الكامل أخوان" أو كما قال رضي الله عنه. وكن زوجاً للقرءآن بأن تتلوه ظاهراً وتجعل إرادتك تابعة له وتتبع أوامر. فالوالدية والولدية والأخوية تابعة لروح القرءآن، والزوجية تابعة لجسم القرءان، لأن الجسم عرض طارئ كالزواج والطلاق إذ "كل من عليها فان"، لكن الروابط الروحية هي الحق الثابت والباقي. فحين تلد الروح بأن يصير قلبك مريمي فأنت والد، وحين يلدك القرءآن بأن تأخذ نفسك الروح بواسطته فأنت ولد، وحين تأخذ من نفس المصدر العلوي الذي انبعث منه القرءآن فأنت أخ، وحين تتلوه ظاهراً وتحفظه نصاً فأنت زوج. وعلى هذا النمط تأمل معنى {تلك الجنة التي نورث}. لكن الفرق بين ميراث الظاهر والباطن أن الظاهر يأتي ولو لم تختاره، لكن الباطن مبني على الاختيار لذلك قال {نورث من عبادنا} فالعباد هم الذين يختارون. {مَن} التي للعاقل، لأن الأمر راجع لاختيار أي إرادة ولعقل بفكر ودراسة، {كان} أي ثبت واستقر فيه اسم، {تقياً} من التقوى التي هي الافتقار الدائم إلى الله عبر الرجوع إلى كتابه الذي لا ريب فيه. فالتقي هو الذي يجعل بينه وبين أسباب الهلاك والنار وقاية، وبما أن النفس في الدنيا الأصل فيها الخسر والهلاك "إن الإنسان لفي خسر" والاستثناء ما سوى ذلك "إلا الذين ءامنوا"، فالذين يتقون هلاك نفوسهم بمظاهر الفناء الدنيوي هم الذين سيتمسكون بروح وجسم القرءآن حتى تخلد وتبقى نفوسهم في النور.

ولبيان هذا النور المتنزل قال بعدها {وما نتنزل إلا بأمر ربك} فكل ما سيتنزل على نفسك من الملائكة أي الألوكة وهي الرسالة، والروح أي العلم الباقي، هو بأمر ربك الذي يربّيك ويريد الخير لنفسك وتبليغها كمالها وسعادتها، فلا تظن أنك الذي تخترع هذه التنزلات ولا تخف من هذه التنزلات الملائكة "تتنزل عليهم الملائكة". فإن ربك {له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك} أي المستقبل والماضي والحاضر، كما قال النبي عن القرءان ما حاصله "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم". {وما كان ربك نسيا} فلا تكن أنت نسياً للقرءآن كما قال للأعمى "كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى" فلا تكن نسياً للتنزيل وما يتنزل عليك به من القول الثقيل.

{رب السموات والأرض وما بينهما}، الآية السابقة رمزية زمانية، وهنا رمزية مكانية، باعتبار. واعتبار آخر، أن السموات هي الروح العقلي، والأرض هي الجسم الدنيوي، وما بينهما النفس. لذلك قال بعدها {فاعبده، واصطبر لعباده، هل تعلم له سميا} ثلاثة مقابل ثلاثة. فاعبده لأنه رب سموات الروح، فالروح تعبد بالتعلم منه "قل رب زدني علما". واصطبر لعبادته لأنه رب الأرض، أي الجسم سيقاومك كثيراً وسيرفض الخضوع للوازم عبادة الروح من الثبات وقلة الطعام والسهر والعزلة وغير ذلك من لوازم عبادة الروح وتحريرها وتفعيل قواها كما قال الشاعر "إذا كانت النفوس كباراً - تعبت في مرادها الأجسام" لذلك جاء بكلمة {اصطبر} وليس فقط "اصبر"، فزيادة الطاء لزيادة الجهاد اللازم لإخضاع الجسم لمقتضى عبادة الروح العلمية والمعرفية. {هل تعلم له سميا} هذه للنفس، كما قال في يحيى في أول السورة "اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا"، فالله ليس له سمي في اسمه، أي اسم "الله"، لذلك قال " اذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا" وهو الانقطاع التام إليه، إذ ليس له سمي وليس لاسمه مساوي، من هنا أمر "اذكر ربك في نفسك"، فالنفس تذكر ربها باسمه الذي ليس له سمي وهو اسم "الله" بشكل رئيس. هذا تأويل. والتأويل الآخر أن النفس تطلب الذي ليس له سمي وهو الله الرب المطلق، لأن كل ما في السموات والأرض وما بينهما إما أن يكون أعلى من النفس أو مثلها أو دونها، فإن كان أعلى منها فتبقى النفس تشعر بالقصور والحقارة مقارنة بذلك الأعلى وقد تيأس ولا تبلغ كمالها أصلاً ولا تصل إلى الرضا، وإن كان مثلها فلن تسعد بشهود وحدتها وفرادتها وكذلك قد لا تعمل وتضل بمغايرة المثيل ولو من وجه إذ لا يوجد تساوي مطلق بين شيئين في الوجود، وإن كان دونها فقد تتكبّر فتهلك أو تشعر بالعظمة مقارنة بالأسفل فلا تجاهد في سبيل نفسها وترقيها، فعلى كل وجه ليس من مصلحة النفس النظر إلا إلى الرب المطلق الذي لا يريد من النفس شيئاً بل يكون لها كمرآة لها يعرفها نفسها ويبلغها أقصى ما يمكنها بلوغه، لذلك {هل تعلم له سميا} سؤال يحث النفس على النظر في ذاتها وفي ربها وحده الذي سيربيها حتى تبلغ مداها الأقصى.

...

(من مجلس سورة مريم من الآية ٦٦-٨٠)

بعد أن بيّن آيات الجنة وأمر بالعبادة، أي بعد أن بيّن طريق العلم وتبديل النفس من نفس جاهلية إلى نفس إلهية علمية إسلامية. سنجد من يقول ما يلي:

{ويقول الإنسان أءذا ما مِت لسوف أُخرَج حياً}، أي حين يدعوه الرسل إلى إماتتة نفسه الجاهلية حتى يعطيه الله نفساً جديداً نورانية، سيشكك في ذلك ويستبعد وجود نفس أخرى له وطرق إرادة وتفكير ومشاعر وتخيل وإحساس وتصرف وعمل وملك غير ما هو عليه الآن.

فيرد الله على هذا فيقول له على سبيل الدواء {أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً} فكما أن نفسك لم تكن على ما هي عليه الآن ثم صارت على ما أنت عليه الآن، فإرادتك حين صرت رجلاً مثلاً لم تكن كما كنت حين كنت طفلاً، وكذلك فكرك ومشاعرك وخيالك وحواسك وأملاكك، "أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا". فكما أن نفسك الحالية لم تكن ثم كانت كذلك ينبغي أن تعتقد إمكان ومعقولية تبدّل نفسك الجاهلية الميتة إلى نفس إسلامية حية.

ففي حال رفض أموات النفوس والعقول ذلك، واعتقد عديمي الروح والقرءآن وجوب الاستمرار على ما هو عليه الآن، فتأتي الآية التالية تبيّن مصيرهم وتكشف عن حقيقة حالهم الآن الذي هو أساس ومزرعة مصيرهم، {فوربّك} أي وربك أيها النبي الذي يمد كل أحد، فإن النبي يمد الكل، لذلك في القرءآن بيان سبيل المسلمين وبيان المجرمين "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين"، فمن أراد الإمداد من الفريقين سيجد إمداده في القرءآن المحمدي. {فوربك لنحشرنهم والشياطين} لأن نفوسهم شيطانية، فحشرهم مع أشباههم. ولأن نفوسهم مظلمة فإن الشياطين هم رؤوسهم في الضلالة كما قال "يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا"، فالشيطان هنا هو رئيس شيعة الضالين الأموات هؤلاء، الذين أضلوهم رسول زمانهم والذي دعاهم بالذكر لإحياء قلوبهم ونفوسهم من موت الجهالة. {ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا} كما اختاروا الدنيا على طريق العلم والروح والآخرة فجعلوا الدنيا بلعبها وتكاثرها مركز دائرة حياتهم كذلك سيجازيهم بالحضور حول جهنم جثياً، وكما كانت نظرتهم للموت هي هلاك وإعدام لهم كالنار التي تهلك ما يدخل فيها كذلك سيجازيهم برؤية جهنم فترة طويلة لذلك قال بعدها "ثم" أي سيبقون جاثين حول جهنم فترة كما كانوا في الدنيا فترة وعمر جاثين حول الدنيا وينظرون إلى الموت ويخافون منه-وهو بوابة الخلاص للمؤمنين من سجن الدنيا ومزاحمة الخبيثين فيها.

{ثم} أي بعد فترة من بقائهم جاثين، وهذه توازي جثوهم حول الدنيا وخوفهم من الموت يرونه حقيقة قاهرة مستسلمين لها كالعبد الجاثي المستسلم لأمر قاهره وسيده. {ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا} الشيعة شيعة رجل وإنسان وكائن، اتخاذ فلان خليلاً، مما يدل على أن هؤلاء الذين يرفضون طريق الرسول إنما اتبعوا طريق شيطان مثل "خلوا إلى شياطينهم". فسينزع بقوة أشدهم على الرحمن الذي علّم القرءآن وأرسل بالآيات، عتيا من العتو وهو الاستكبار وتجاوز الحد أي استكبروا على علم القرءآن وتجاوزوا الحد في الاحتجاج والبرهنة وتجاوزوا حدود حقيقتهم الفقيرة إلى الله.

{ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا} فالأولى هو الذي نفسه نارية جهنمية، لذلك صار أولى. لما أضاعوا الصلاة بآيات الرحمن كان مصيرهم صلي جهنم. فصلّي قبل أن تصلى.

{وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا}، فإن منكم أي سيبلغ الجاثين حول جهنم أن إن منهم إلا واردها بعد أن تركهم فترة جاثين لا يعلمون ماذا سيحدث، ثم فجأة نزع أعتاهم، ثم تركهم فترة يترددون وكل واحد يتردد في نفسه "هل أنا ممن سيصلاها أيضاً"، ثم أخبرهم بأن إن منهم إلا واردها، فهي مراحل من التعذيب والرعب، كل مرحلة مقابل مراحل الاستنارة التي عُرضت عليهم حين كانوا في الطبيعة، وكذلك هي مراحل من التعذيب والرعب توازي مراحل تعذيبهم المؤمنين وظلمهم لهم في الدنيا. هذا تأويل. تأويل آخر، كل نفس سترد جهنم في صورة الطبيعة، فإن الطبيعة فيها بُعد ناري بالضرورة، لكن قد تعيشها بطريقة الآخرة وقد تعيشها بطريقة الدنيا أي اللعب والتكاثر وما بينهما أي اتباع الشهوات مع الكفر بالصلاة وكتاب الله وطريق العلم، فمن وردها بطريقة العلم سيرى الطبيعة آية لروحه وأداة لجسمه فينجيه الله، ومن وردها بطريقة اللعب والعلو في الأرض ستكون الطبيعة جهنمه الأولى والتي ستعقبها جهنم الأخرى. لذلك قال بعدها...

{ثم} أي بعد فترة لأن ورود جهنم سيأخذ فترة زمنية، وهي فترة الحياة في الدنيا، {ننجي الذين اتقوا} وهم الذين يرجعون إلى كتاب الله دائماً، {ونذر الظالمين فيها جثيا} وهم الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

فما الفرقان بين الذين اتقوا والظالمين؟ قال بعدها {وإذا تُتلى عليهم ءاياتنا بينات} هذا هو المحور والفرقان بين الاثنين، وبالموقف من الآيات يتبين حال الفريقين. وهنا يشرح حال الظالمين

فيقول {قال الذين كفروا للذين ءامنوا} إذن الفرقان بين الذين كفروا والذين ءامنوا سيكون بحسب موقفهم من آيات الله البينات، {أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا} سيفاخر الذين كفروا بدنياهم، وهم الذين يرون قيمة كل شيء بحسب ما ينتجه لهم في الدنيا ومن أمور اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد والعلو في الأرض وجعل الآخرين تحت أقدامهم، فلمّا جاءت الآيات البينات نظر الذين كفروا بعينهم الدنيوية التي هي مبلغهم من العلم فاحتجوا بأنهم خير مقاماً وأحسن ندياً أي أموالهم ورجالهم أفضل وأعلى من أموال ورجال الذين ءامنوا.

فيأتي الرد البسيط بكل برودة أعصاب-وهذا من أنفاس الرسل الذين يعلمون بحقيقة الأمر- {وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا}. فلا تنظر إلى هؤلاء في زمنك على أنهم مجرد تكرار صوري لمثال سابق ولا تحسبهم شيئاً جديداً وخطيراً لم يسبق إهلاكه من قبل.

{قل} هنا بيان حقيقة النبي التي تمدّ الكل، مؤمن وكافر. فبدأ بإمداد الكافرين ثم ذكر إمداد المؤمنين. فقال عن الفريق الأول الكافر {مَن كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً} لاحظ إمداد النبي وباسم الرحمن، فهو يمد حتى أهل الضلالة. {حتى إذا رأوا ما يوعدون، إما العذاب وإما الساعة} إما عذاب الدنيا وتعذيبه بأمواله وأولاده ورجاله وجسمه لقوله "يعذبهم بها في الحياة الدنيا|، أو إما عذاب هلاكهم بيد المؤمنين الذين يعتدون عليهم ويخرجونهم من ديارهم ويقاتلونهم في دينهم لقوله "يعذبهم الله بأيديكم". وإما الساعة، ساعة حضور عاقبتهم في الدنيا حسب سنت الله كغرق فرعون، أو ساعة الآخرة الكبرى. فأهل الضلالة لذتهم في الدنيا تفنى بسرعة فتبقى حسرة كلما تذكروها، وأمامهم في الدنيا الموت والهلاك والتعذيب، وفي الآخرة جهنم. فهي من كل وجه سوء وقبح، والقليل من الخير فيها مكدّر من اليمين واليسار. {فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا} وهو ما كانوا يتفاخرون به على المؤمنين أهل كتاب الله. كاستضعافهم المؤمنين بحكم كونهم في مكانهم أي قريتهم وبلادهم، أو السخرية من المهاجرين لأنهم تركوا مكانهم وصاروا في مكان غريب مشردين في الأرض في سبيل الله ونشر كلامه ودينه والعيش في مكان لا يعبدون فيه إلا الله. وكذلك بالنسبة للجند، حيث يتفاخر هؤلاء الظالمين بجندهم وعبيدهم الذين يقاتلون ويضربون وينهبون بأمرهم. في الآخرة ستتبدل الحال. ستجد مكان الذين كفروا جهنم، ولا جند لهم ينصرهم بل الجند كلهم من الملائكة هم أولياء المؤمنين. وفي هذه الحياة نجد الفرق بين النفوس كذلك. فإن النفس المستنيرة بكتاب الله مكانهم أي مكان نفوسهم كإدريس المرفوع مكاناً علياً، وجندهم أي براهين

عقولهم وحجج دينهم والقوى الغيبية التي تنصرهم، هذه كلها فوق مكان وجند الذين كفروا الذين مكان نفوسهم في الظلمات "أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها"، والظالمين في الطبيعة ملعونين من كل من في السموات والأرض فهم غرباء هنا لأنهم أعداء الله ورسله. هذا بالنسبة لمن هم في الضلالة. فهؤلاء يمدهم النبي وورثة النبي ليستمروا في ضلالتهم ويدعون الله لهم ليزدادوا من الضلالة حتى ينالوا حظهم من خيرهم في الدنيا ويهلكوا بعد ذلك. فالعبرة ليست الانتقام. لكن الإرادة الإنسانية هي فرع إرادة الله، بالتالي ما يريده الإنسان مقدس، فالنبي والمؤمنين يعظّمون هذه الإرادة أيا كانت صورتها واختيار صاحبها فيها، لذلك يدعون الله له ليزداد من ما اختاره لنفسه. فإن اختار الضلالة فليمدد له الرحمن مداً، تعظيماً لهذه الإرادة الحرة الإلهية الأصل التي في نفس الإنسان.

فمن اختار بإرادته الهداية أيضاً يأتيه إمداد من صنف آخر فيقول بعدها {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مردّاً}. فممد الذين كفروا هو الرحمن، لكن ممد الذين ءامنوا هو الله، وهو الاسم الأعظم والأوسع والحضرة الأكبر التي تشمل كل اسم. فالذين كفروا انحصروا في الثنائية التي للرحمن، لكن الذين ءامنوا ارتفعوا للوحدة التي لله. فالذين اهتدوا زادهم هدى، أي اختاروا الهداية. فالله على كل شيء قدير بالتالي ما يحدد نوعية إمداده لك هو أنت. والباقيات هي أعمال الروح لأن الروح باقية والجسم فان، فأهل الدنيا يلعبون في مساحة الفناء التي تنتهي آثارها بمجرد ما تفنى الدنيا. لمن عمل الروح الذي هو العلم باقٍ إلى الأبد. "ما عندكم ينفد وما عند الله باق". فما عملته الآن سيكون ثوبك غداً، وستُرد إلى ما زرعته الآن وسيكون خيرا لا شراً. فعمل ظاهرك ثوبتك، وعمل باطنك مردّك. وعلى هذا النمط تأمل.

{أفرءيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا} كفر بالروح وانحصر في الجسم. وبداية عذابه أن قيمته مستمدة من شيء منفصل عنه، فالمال منفصل تريد نسبته لك والولد منفصل عنك تنسبه لك، فعلى الوجهين هم منفصلين عنك. لكن المؤمن بالآيات يجد نورها في نفسه. " نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم". فلذة العلم ذاتية، ولذة المال عرضية. فالعلم يبقى والمال يفنى. والولد كذلك. فالذي يزعم أنه سيؤتيه الله مالاً وولداً في الدنيا أو في الآخرة كصاحب الجنتين، والذي يكشف عن تصورهم الباطل للآخرة النابع من انحصارهم في الدنيا فجعلوا الآخرة كالدنيا تماماً. على الوجهين يرد عليه الله فيقول..

{أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا} ولا هو اطلع الغيب ولا اتخذ عند الرحمن عهداً، إذ لو كان من أهل الاطلاع على الغيب لما كفر بالآيات الواردة من الغيب والكاشفة للغيب، ولو كان من أهل الاتصال بالرحمن مباشرة لأخذ العهد منه واتخاذ العهد عنده لما كفر بآياته ورسله وأنكر يوم دينه.

{كلا} لا هذا ولا ذاك. {سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً} أي نمدّ له من العذاب الذي هو ماله وولده. {ونرثه ما يقول} أي سيكون عذاباً له لأنه سيخشى من خسران ماله ووالده ما دام حيا، فإن كان الولد عاقاً تعذّب به وإن كان باراً سيتعذب بفراقه إن مات أو سافر أو أي سبب من أسباب الفراق. وكذلك المال إن كان قليلاً عنده سيتعذب بذلك وإن كان كثيراً سيخاف على فقده وبالحذر عليه ممن حوله وينتظر موته أو يريد نهبه وخداعه، فهي عيشة ضنك وعذاب في الدنيا قبل الآخرة. ثم يرثه الله بفراق المال والولد. {ويأتينا فردا} ففرديتك تتحدد بحسب حالتك مع طرح مالك وولد، فانظر مَن أنت بدون المال والرجال لتعرف ما أنت عليه من الحال. أي اطرح كل منفصل عنك لتعرف قيمتك في ذاتك. وكذلك الحال في العلم. فاطرح قيمتك من كتبك التي هي أموالك، ومعلميك والمتعلمين منك الذين هم والديك وأولادك، ثم انظر في علمك لتعرف قيمتك ودرجتك.

...

قال بنو إسرائيل الذين خرجوا مع موسى لموسى {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون}، قال هذا الذين خرجوا، فما بالك بمن لم يخرج ولم يبالي أصلاً بالخروج مع موسى بل اختار المقام تحت فرعون. قد قيل لي مثل هذا بلسان الحال وشيء من لسان المقال. يتربص بي من لم يخرج ومن خرج من بني إسرائيل زماننا ويريدونني أن أقاتل عن الدين والحق لوحدي ويريدون القعود وانتظار ماذا سيحدث معي ليروا إن كنت سأنجو وأنتصر أم أهلك وأنهزم حتى يقرروا موقفهم من العمل معي في سبيل دين الله. فصدق الله ورسوله.

...

الشفقة على من يريد طريق النار ممنوعة، ليس لأننا نريد عذابه لكن لأننا نعظّم إرادته. نعم، من أراد طريق الجنة فأخطأ أو جهل ينبغي تعليمه وتنبيهه لكن لا من باب الشفقة بل من باب إفاضة العلم الذي هو أمر إلهي أيضاً للعالِم. الشفقة انحطاط للنفس كما قال نيتشه وقد صدق وهو صدوق.

...

(من مجلس سورة مريم من الآية ٨١-آخرها . تنبيه : ما سبق ذلك من آيات من سورة مريم قد ذكرت الأفكار التي خرجت لي من السورة لكن بدون الإشارة إلى أنها من السورة أو ربطها بالآيات التي نبعت لي منها تلك الأفكار. فكل ما خرج لي موجود في هذه الكتب)

{واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً} تناقض. اتخاذهم من دون الله آلهة هو أكبر ذل فعلوه بأنفسهم. لأن كل من سوى الله محدود، والمحدود يريدك عبداً ليزداد هو من خيرك ويتقوى هو بك، فلا يمكن لمخلوق أن يجعلك عزيزاً من حيث مخلوقيته ولا لما دون الله لأنه "دون" الله أن يرفعك ويعزّك. الله وحده هو الذي تعبده فيرفعك، وتصلي له فيرزقك ولا يريد منك رزقاً.

قال فرعون "ما علمت لكم من إله غيري"، وليس المقصود إله الكون والتكوين، فإن فرعون كان محدوداً ومقيداً ويعلم ذلك من نفسه ويعلمه منه كل من حوله وهو بنفسه أقرّ بذلك مثل " ءامنتم له قبل أن آذن لكم" فأقرّ بحدوث شيء خارج عن إذنه وباستقلال عنه، أو "يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً" فأقرّ بحاجته إلى غيره ليبني له، وبافتقاره إلى وسيلة ليطلع ويعلم غير ذاته، وإقراره بوجود ظن عنده والظن من الجهل وضعف العقل وقلة العلم، وهكذا طلب الإذن ممن حوله حين قال "ذروني أقتل موسى". فلم يكن القصد إله التكوين. بل هو إله بمعنى أن الأمر كله راجع إليه والكل يسترشد به بحسب رأيه بدون مناقضة له ولا يخالفون أمره وإذنه ولو في دينهم وما يخص تعبيرهم كما فعل السحرة مثلاً أو موسى حين قال له "لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين". بعبارة أخرى، فرعون هو الطاغية. وتأليه الناس له هو اتخاذهم إياه طاغية مقبولاً عندهم وخضوعهم له وعدم خروجهم مع موسى زمانهم من سلطته وعدم محاربته لكفّه عن عدوانه وفساده وطغيانه على العباد وفي البلاد. بناء على هذا المعنى، يصبح اتخاذ آلهة من دون الله هو اتخاذ إنسان أو أكثر من إنسان مرجعاً مطلقاً في أمر الدين والدنيا وبالجبر وتحت القهر والقبول بذلك. وهذا ما ستجده في المنافقين اليوم والمخدوعين من بني إسرائيل زماننا أي المسلمين بشكل عام. فيأتي الرد من الله..

{كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً} ستجدهم يكفرون بعبادة المسلمين لهم، كما تجد في بلاد المسلمين اليوم ظلمتهم وطغاتهم يكفرون بعبادتهم أي لا يشكرونهم عليها بل يزيدونهم من القهر والذل والقمع كلما ازدادوا خضوعاً واستسلاماً لهم وترك المقاومة لظلمهم. ثم هم أيضاً عليهم ضداً، وهذا واقع أيضاً فإن الطبقة الحاكمة من رؤساء وشيوخ دين وتجار نصابين كلهم ضد عامة المسلمين من بني إسرائيل المقهورين تحتهم، فهم ضد العامة من كل وجه لأن مصالحهم متضاربة.

{ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا} كما قال قبلها عن حشرهم والشياطين. أي كل معبود من هؤلاء الطغاة، سواء كان فرعوناً أو هاماناً أو قاروناً أو سامرياً، كل معبود منهم لقوة سلاح أو دين أو مال أو زخرف ظاهر، هو شيطان، والذين يعبدونه من الناس هم الكافرين. فستجد لكل كافر شيطان يحركه ويقوده ويؤمه فيتخذه مثلاً أعلى يعبده ويعكف عليه.

{فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عداً} فلا تعجل عليهم بالهلاك غيرةً منك على مقام الله الذي ابتعدوا عنه بشيطنتهم ومعنى الشطن البعد أي البعد عن الله، وكذلك الكفر بغيرتك على مقام الفطرة الإنسانية التي كفروها بسلوك طريق إضاعة الصلاة واتباع الشهوات. فلا تعجل عليهم. هذه إرادتهم وإرادتهم من إرادة الله فهي محترمة لذلك، واعلم أن الله يعدّ لهم عداً في الدنيا بهلاك العاجل أو في الآخرة بالهلاك المطلق. فكل عامل مصير بحسب عمله، وقد تركهم في الدنيا لفترة ومدّ لهم حتى يزدادوا من الإثم الذي رغبوا فيه بجهلهم. فلا تعجل عليهم. هذا نهي. إلى متى لا نعجل عليهم؟ الجواب إلى يوم القيامة كما قال...

{يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً.} المتقون الذين جاءتهم آيات الرحمن فتعاملوا معها كوفد محترم مكرم مقدس من الرحمن فتقبّلوها بالتعظيم والسجود والتعقل والقبول والتسليم للرحمن وعبادته. جازاهم بأن حشرهم إلى الرحمن، لأنهم أخذوا القرءآن فصارت نفوسهم رحمانية إذ هم عباد الرحمن بوسيلة آيات الرحمن.

{ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا} نسوق لأنهم جعلوا القرءآن خلف ظهورهم فساقهم إلى النار ولم يجعلوه أمامهم ليقودهم إلى الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والمجرمين من الجرم وهو القطع، أي انقطعوا عن آيات الرحمن وعن رسل زمانهم واتبعوا شياطين زمانهم. فتحوّلت نفوسهم بسبب ذلك إلى جهنم، فكان مصيرهم جهنم. ولما صارت نفوسهم جهنمية بإضافة الصلاة واتباع الشهوات أي انقطعوا عن الروح وانغمسوا ودسوا أنفسهم في تراب المادة صارت نفوسهم معذبة من العطش لماء الروح، فجازاهم على ذلك بأن ساقهم وردا أي عطشى شديدي العطش كما عاشوا يعانون من تعطيش نفوسهم للروح أو جعلوا روحهم تعطش للعلم الإلهي فحرموا أرواحهم من ماء آيات الرحمن التي جاءهم.

{لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا} القرءآن يشفع لصاحبه. لكن المجرم الذي لا عهد له عند الرحمن، وهو عهد التوحيد، لا شفاعة له.

{ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا} هذا تحذير لأهل القرءآن أن لا يقولوا أن القرءان ولد الله. فينكروا كل ما سوى هذا القرءآن العربي وكأن القرءآن ولد الرحمن واتخذه الرحمن ولداً فيكفروا بكل ما وراءه من قصص وأمثال وأحكام وكلام ورسل زمانهم وأولياء عصرهم الذين يكلمهم الله في ذات عقولهم، ويكفرون بكل كلام الله بحجّة أن هذا القرءآن ولد الرحمن.

{لقد جئتم شيئاً إداً} أمر عجيب للعقل وفظيع من بشاعته. لأن الرحمن مطلق ويتجلى في الكل، فلا يمكن أن يتخذ ولداً فينحصر به. ولا ينفصل ولد إلا عن محدود، والرحمن مطلق. والمطلق لا يكون محدوداً بالذات. فهو شيء عجيب للعقل ينكره من بطلانه وفظيع عند العقل المحب للحقيقة.

{تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً} كما قال قبلها في نفس السورة "رب السموات والأرض وما بينهما، فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا"، وكما قال في آية الأمانة "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان". فالأمانة هي أمانة كلمة الله، وهو وحي النبوة المستمر، التعليم الآدمي الذي هو التعلم من الله وتعليم الخلق من الملائكة فما دونهم. أي النور الإلهي. أو النبوة للاختصار. فالنبوة لها بعد سماوي وأرضي وما بين ذلك وهو الجبل. لأن لها روح وجسم ونفس. فروحها الحقيقة وجسمها الألفاظ ونفسها الأمثال. فلابد للنبوة من الثلاثة. لذلك السموات وحدها لم تستطع تحمل الأمانة لأنها مجرد سموات، وكذلك الأرض وكذلك الجبال. لكن حملها الإنسان لأن فيه روح ونفس وجسم. فيحمل روح النبوة بروحه ونفس النبوة بنفسه وجسم النبوة بجسمه. فكل إنسان لابد أن يكون نبياً، حامل للنبوة، فيه النور الإلهي، فيه السر الآدمي. لكن حين يقول الإنسان "اتخذ الرحمن ولدا" فالنتيجة ستكون الكفر بمقامه الإنسان وخلافته ونبوته الباطنة ودينه القيم القائم في فطرته. وسينكر ويكفر بالآيات الحقة المتجلية في السموات والأرض والجبال أي في الأكوان العلوية والسفلية والوسطى، لأنه سيعتبر أن ولد الرحمن هذا هو الذي عنده كل شيء ولا يؤخذ نور إلا بواسطته، فتكاد السموات والأرض والجبال أن ينعدمن بسبب ذلك لأن الحكمة من وجودهم وهي أن يكونوا آيات الله وبيان الحق الحي قد أُبطلت بسبب هذه المقالة الكفرية. فمقالة ولد الرحمن تبطل قيمة الإنسان وتبطل قيمة الأكوان. لذلك اعتنى الله بردها كثيراً. ومن ردها قوله...

{إن كل من في السموات والأرض إلا ءاتي الرحمن عبداً} فهذه المساواة الأولى بين كل مخلوق، فما الذي سيجعل الرحمن يتخذ هذا دون ذاك والكل سيأتيه عبداً ومطوق بطوق العبودية قهراً وقطعاً؟ أي فضل لعبد على آخر بالنسبة للرحمن والكل عباده وبالنسبة لهم هم وحدة واحدة، فلماذا يتخذ هذا ولداً دون ذاك؟

{لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً} أحصى الكيفية وعدّ الكمّية. أي لكل مخلوق كيفية وكمية محددة، والكل مستوون من حيث أنهم محدودين بكيفية وكمية خاصة. فهم أيضاً سواسية من هذا الوجه. فجوهرياً، كيف سيفضّل الرحمن بعضهم على بعض بالنسبة له ليتخذ ولداً واحداً من بين كل هؤلاء والكل له نفس خاصية وقيد الكيفية والكمية؟

{وكلهم آتيه يوم القيامة فردا} فالكل، من الناس تحديداً، يموت ويُبعث، وسيأتي فرداً وله فردية تخصه. بالتالي لكل فرد فرادته، فالكل سواسية من حيث فرديتهم، فماذا سيتخذ فرداً منهم دون الآخر ولداً؟ هل لأنه فريد وله حقيقة فردية مميزة، كيف والكل كذلك، الكل آتيه فرداً، له حقيقة ذاتية تجعله متفرداً ومتميزاً على الكل؟

إذن، من حيث الاستواء في العبودية وفي جوهر الكمية والكيفية وفي الفرادة الذاتية وفي الفقر الذاتي إلى الله، من هذه الحيثيات الأربعة لا يوجد فضل لمخلوق على آخر حتى يتخذه الرحمن ولداً دون سواه.

{إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً} الود هو الحب الباطن والظاهر المستمر. فلما ءامنوا امتلأت بواطنهم بالحب فجازاهم بالحب الباطن، ولما عملوا الصالحات تجلى الحب على ظواهرهم فجازاهم بالحب الظاهر، ولمّا نووا الاستمرار على هذا الحال من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ما داموا أحياء كعيسى جازاهم بالحب المستمر. والجامع بين كل هذه المعاني وغيرها هو الود.

سيجعلهم لهم الرحمن لأنه سيجعل لهم وداً الآن في الأكوان، إذ الأكوان كلها تودّ المؤمنين والسالكي طريق العلم كما قال النبي عن العلماء أنهم يستغفر لهم من في السموات ومن في الأرض وحتى الحيتان في البحر. وسيجعل لهم وداً الآن في الإنسان، إذ سيودهم من يعاصرهم ومن يأتي بعدهم من المؤمنين كالأنصار الذين يحبون من هاجر إليهم في المعاصرة وكالذين يستغفرون للذين ءامنوا من قبلهم في البعدية. وسيجعل لهم وداً في الآخرة الكبرى من ولاية الملائكة إلى دخول الجنة إلى الأبد من الخير منه تعالى "سلام قولاً من رب رحيم". فسيجعل لهم الرحمن وداً في الأكوان وفي الإنسان وفي الجنان، ومبدأ ذلك كله ود الرحمن، إذ هو الودود سبحانه وتعالى.

{فإنما يسرناه بلسانك} فحقيقة كلام الله مثل قدرته وحياته، لا يمكن أن تتقيد بصورة خاصة، وهي تتجلى في كل المظاهر. كذلك كلام الله مستمر وقائم وحي وهو وراء الحجاب ووراء الرسل والصور والألسنة. لذلك قال {يسرناه} فالضمير راجع على حقيقة لا لسان لها في ذاتها. بل

تيسّرت هذه الحقيقة العلية بلسان مخصوص هو لسان النبي العربي {بلسانك}. فلا يتقيّد كلام الله بلسان، بل انفتح واستعد لاستقبال كل كلام الله أيا كانت صورته ولونه. وقد رحم الله العرب بكون النبي فيهم "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم"، وبوسيلة رحمته للنبي يسّر لهم كلامه الذي عجزوا أو تكاسلوا بإسرافهم عن العروج إليه، فيسّره لهم بلسان النبي، وكذلك ييسّره بلسان كل نبي وولي وعالِم في زمانه بلسانه ولسان قومه حتى يرحمهم به، {لتبشّر به المتقين} أنهم سيصلون إلى الرحمن ويتصلون به ويسمعون كلامه إن سلكوا سبله بلا حجاب ولا ترجمان، {وتنذر بها قوماً لداً} هم أعداء الرسل الذين اختاروا طريق إضاعة الصلاة واتباع الشهوات فغرقوا في أمواج الدنيا الفانية والبدن البالي، فجاء يقول لهؤلاء...

{وكم أهلكنا قبلهم من قرن، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا} فمن كان قبلكم ممن انحصر في الدنيا والجسم وراهن على سعادته عبر هذا الانحصار في المحسوس بالبدن، ورفض طريق الروح والعروج إلى الغيب والملكوت بوسيلة آيات الله وشفاعة رسله، انظر إلى هؤلاء، أين هم الآن؟ {هل تحس منهم من أحد} ممن كان يعبد المحسوس ويعتبره نهاية الموجودات، أين هو الآن؟ هل هو محسوس؟ هل تحس بوجوده البدني الطبيعي هذا؟ لا. {أو تسمع لهم ركزا} بعد أن ملأوا الدنيا ضجيجاً، هل تسمع لألفاظهم أو لآثار حركتهم وعمرانهم، هل تسمع لهم حياة أو أثر حياة الآن؟ لا. فبما أن من قبلكم ممن راهن على الدنيا وسلك في سبلها المظلمة قد فني وأنتم تعلمون أنه قد فني، فاتركوا هذا الطريق الذي تعلمون بطلان نهايته والفناء المقرون به، واسلكوا طريق الرسل والمتقين وخذوا بكتاب الله خير لكم.

ولاحظ أنه ختم بكلمة {ركزا} التي تشبه زكريا الذي افتتح به السورة، "ذكر رحمت ربك عبده زكريا". والركز فيه معنى الثبات وفيه معنى دفن الثروة في الأرض وغير ذلك. فهؤلاء الذين اعتمدوا على ثبات أجسامهم وثرواتهم المادية فنوا من دنياهم وهلكوا في أخراهم. لكن زكريا الذي اعتمد على رحمت ربه وروح كلامه وثروته العلمية وميراثه النبوي قد بقي وأفلح. فاختر طريق زكريا لا طريق عاقبته {أو تسمع لهم ركزا}.

...

(My translation of a poem by Abu Nawwas)

I sat alone in seclusion with the comforting wine speaking with her,
Taking from it and giving it.
I befriended her since I did not find a happy supporting friend,
That I am satisfied with to share it with me.

I drank her pure as she is in her essence,
And I was both the pourer and the drinker.
No eye has ever looked at a scene,
Which comes close to her in beauty and delightfulness.
I was constantly out of fear from the evil eye when she shined,
Breathing sacred words on it to protect it.
…

(تأويل خمرية لأبي نواس)

لكل خمرية ولكل قصيدة بل لكل صورة في الطبيعة وحدث وشخصية أربعة تأويلات، أربعة مفاتيح لتأويلها: في الرحمن وفي الأكوان وفي الإنسان وفي القرءآن. ولابد من توحيد العين التي تنظر بها حتى تفتح بها بإذن الله الخمرية.

في هذا التأويل سننظر بعين التأويل القرءآني إن شاء الله. يقول الشاعر:

١-{خلوتُ بالرّاح أُناجيها - آخذ منها وأُعاطيها}

الخلوة أساس تذوق القرءآن، لابد لك من تأسيس عملك وطريقتك ودراستك على الخلوة. فالقرءآن نزل من واحد إلى واحد. فكلما ازدادت وحدتك كلما تذوقت كلام ربك.

الرّاح الخمر من حيث أنها مريحة للنفس. وهنا هو القرءآن فإنه روح مريح للنفس من حيث أنه يرفعها من شقاء الطبيعة وقيود المادة، ويخرجها من رسّ وبئر الظلام الدنيوي إلى الأفق الأعلى المبين.

دراسة القرءآن عند أصحاب القرءآن مناجاة، أخذ منه وعطاء. أي علاقة حوار وجدل. محاورة حية للقرءآن، تأخذ ما يقوله، فتعطيه سؤالك وجدلك فيما أخذته، فيعطيك جواباً، وهكذا. وهي علاقة مناجاة لأنها صحبة روحية عن محبة، فالقرءآن صاحب الإنسان العاقل، وصحبة محبة فيها مكاشفة بالأسرار وتجرّد للحقيقة.

قالت صاحبتي: الأخذ والعطاء يكون بالقراءة والكتابة. أي تقرأ القرءآن فتأخذ منه، وتكتب ما ينفتح لك فتعطي منه. أقول: هذا وجه حسن من التأويل.

٢-{نادمتها إذ لم أجد مُسعداً - أرضاه أن يَشركني فيها}

القرءآن نديم الإنسان الروحاني، بينهم صحبة ومكالمة، ورفقة ليلية وقرب ومودة، وحوار نظيف في مواضيع شريفة. فالأصل أن تبني علاقتك بالقرءآن على الوحدة والتوحد معه، إذ لن تجد عادةً مَن ترضاه للشركة في هذا الطريق، أي لن تجد "مُسعداً" وهو الصديق السعيد في نفسه والمساعد لك على دراسة القرءآن والسير في طريق الحق تعالى، فمن الصعب والنادر جداً وجدان صديق، فما بالك بصديق سعيد في نفسه، وما بالك فوق ذلك بأن يكون مساعداً لك مهتماً بك، فهذه الصفات الثلاثة واحد منها معجزة في دنيا البشر، فاجتماع الثلاثة حتى يحصل الرضا القلبي برفيق الطريق الإلهي أمر داخل في باب الكرامات والاختصاصات الإلهية التي يمنّ بها على البعض. لذلك أسس صحبتك في الدنيا على صحبة القرءآن حصراً. فإن وجدت المُسعد الشريك كان بها وإلا فأنت على أساسك الراسخ من الاكتفاء بمنادمة القرءان.

٣-{شربتها صِرفاً على وجهها - فكنتُ ساقيها وحاسيها}

حين تقرأ القرءآن مباشرة بدون تعليقات المعلّقين وتفسيرات المفسّرين، أي تقرأ الآيات وحدها وتأخذ منها مباشرة، فهذا شربه آياته صِرفاً أي كالخمر غير الممزوجة بشيء غيرها من ماء أو غيره. فهذا مقام عالي جداً في الولاية أن تقرأ كتاب الله بدون وسيط بل تأخذ منه مباشرة بفضل الله وتفهيمه الحي لك، وحينها تشربها على وجهها أي تفهم القرءان على وجهه وحقيقته ومقصد الله فيه كما أنزله وعلى ما أنزله.

فهذه الدرجة العالية من الولاية الروحية التي تستطيع بها أن تقرأ الآيات وحدها وتفهمها على وجهها دليل على توحّد روحك بروح القرءآن العلية، لذلك فأنت ساقيها وأنت حاسيها في آن واحد. لأنك الساقي من حيث قراءتك والمحتسي من حيث قبولك لتفهيم الله لك في قلبك. أي تجلّى الله لك بأن سقاك بك، واحتسيت أنت من حيث سماعك وتلقيك لما يلقيه الله عليك بك. فهذا مقام التوحيد بحيث يكون الحق تعالى لسانك الذي تنطق به وعقلك الذي تفهم به، فهو تعالى الساقي لك من حيث أنه لسانك وعقلك، وأنت المحتسي من حيث أنك السامع لما يتلوه لسانك والقابل لما يفهمه عقلك.

٤-{لم تنظر العين إلى منظر - في الحسن والظرف يدانيها}

الحسن والظرف للباطن والظاهر، أي معاني القرءآن لها الحسن وألفاظ القرءان لها الظرف. ويصح العكس كذلك، بحيث يكون معناه ظريف ولفظه حسن، كل ذلك حق. فلا يوجد لا في ظاهر الكتب ولا في باطن الكتب أي كتاب نظرت إليه عين بالمطالعة والقراءة والدراسة يداني القرءآن في معانيه ومبانيه، لأن الكتب التي جاء بها الإنس والجن لا تبلغ كتاب الله أبداً ولو اجتمعوا كلهم ليأتوا بمثله ما استطاعوا لأنه من فوق مستوى الإنس والجن بالذات والحقيقة إذ ليست لهم حقيقة الروح وسر الألوهية المتجلي بالقرءآن وليس بإمكانهم التعمّل لاختراع هذه الحقيقة الروحية وسر الألوهية من عند أنفسهم وبأبدانهم. فلا شيء يدانيه إذن من حسن وظرف ما يأتي به الإنس والجن. فلذلك تقرّ عين المؤمن بجنّة القرءآن، أي تستقر فلا تتحرك طلباً لغيره لأنه لا يوجد أحسن منه في الكتب كلها لا معنى ولا مبنى، وتقرّ أيضاً بالبكاء من الفرح بسببه وهي نهاية الفرح وتجاوز الفرح حده الأعلى بحيث انقلبت صورة الفرحان إلى ضده وهو البكاء الذي هو مظهر الحزن في العادة وهي قرّت الأعين المذكورة.

قالت صاحبتي ما حاصله: السائل غير الجامد، والسائل يتحرك للأعلى والأسفل، وبما أن البيت السابق ذكر وحدة الساقي والمحتسي، فأنت القارئ أيضاً لم تنظر العين إلى منظر في الحسن والظرف يدانيك من حيث توحدك في نفسك بالقرءآن. قد عززت ما ذكرته هنا عبر الإشارة فعلاً إلى أني حين أنظر في نفسي أجد أكثر من شخصية لكن لم تنظر عيني إلى أحسن من شخصيتي كقارئ للقرءآن بالنحو المذكور هنا، فهي أعلى سمة ومثل في نفسي عن نفسي. وكذلك الحال في كل نفس، فإن الإنسان لن يجد أعلى في نفسه من نفس كمثل قارئ كتاب الله ومتوحد معه. يوجد فرق بين السيولة والجمود، ففي الجمود الساقي شخص منفصل تماماً عن المحتسي، والمحتسي منفصل تماماً ومنقطع عن الساقي بالذات، كالفرق بين المجتهد والمقلد أو الكاهن والعلماني. لكن هنا نجد التوحيد الصوفي بين الساقي والمحتسي، فالإنسان الواحد جامع بين الضدّين، كالحق تعالى الواحد الجامع بين الأضداد في ذاته. فالشاعر هنا يعبّر عن شربه الراح صرفاً على وجهها، وهو رمز على قراءته آيات القرءآن بحيث توحدت معه في باطن قلبه. لكن بعدها وحّد بين كونه الساقي والمحتسي وهذا من وجه عمل الظاهر، أي هو التالي وهو الفاهم في آن واحد، بل هو وسيلة إلقاء الفهم حيث يلقي الله على لسانه وعلى قلمه الفتوحات المعرفية، وهو المتلقّي لها في نفس الوقت عبر شهوده ما يتم إلقاءه عليه، فهذا من التوحد مع القرءآن في ظاهر قالبه. فجمع الإنسان الكامل بين التوحد الباطني

والظاهري على السواء فصار واحداً بالقرءآن. فصار القرءآن شفيعاً له يوم القيامة لأنه صاحبه كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث يصمت صاحب القرءآن ويجادل القرءآن عنه ويتكلّم بالنيابة عنه، فحلّ محلّه كما اتّحد به من قبل لأنه صار كنفسه "وأنفسنا وأنفسكم" "حسين منّي وأنا من حسين".

٥-{ما زلت خوف العين لما بَدَت - أنفثُ في كأسي وأرقيها}

كما أن الله ذكر الكوثر والصلاة والنحر ثم ذكر وجود الشانئ، مشيراً إلى أنه لابد للشارب من كوثر القرءان من وجود الشانئين له، كذلك هنا ذكر الشاعر خوف العين على كأسه وراحه بعد بيانه لما سبق من مقامات وحقائق. "جعلنا لكل نبي عدوا". لابد من ذلك في هذا العالَم. لا أقل لأن حامل نور النبوة سيكون مختلف في عقله وفي عمله على عموم الناس فيعادونه لاختلافه، وكذلك يعادونه لتنافر نفوسهم الخبيثة الدنيوية مع نفسه الطيبة الأخروية الروحية، وكذلك يعادونه لأنه بمجرّد وجوده وظهوره وبدوّ أمره يذكّرهم بأنهم ليسوا كل شيء وما هم عليه ليس أعلى شيء بل يذكّرهم أنهم أسفل منه وأقلّ منه عقلاً وإيماناً. فمن كل وجه سيوجد عدو له عين وسعي خبيث لإهلاك العارف صاحب القرءآن. لذلك يقول الشاعر هنا بأنه يسعى للحماية من ذلك عبر عملين، النفث في كأسه ورقية خمرته. فكأسه هو جسمه، وخمرته روحه. فلابد من تحصين النفس بالأدعية والأذكار التي هي دروع ربانية. ولابد أيضاً من دوام تلاوة كتاب الله حتى لا تنطفيء شعلة النبوة من مشكاته بل يبقى المصباح مشرقاً مشعاً.

التوحد مع روح القرءآن أمر باطني، لكن في ظاهر الطبيعة سيوجد أعداء وحاسدين بالضرورة، قلّوا أم كثروا. فلابد من التمييز ما دام صاحب القرءآن في الدنيا ما بين حياته الباطنية وكهفه وأهل التدارس معه وبين غيرهم من الناس خصوصاً خصومه في الدين الذين يطعنون في دينه ويقاتلونه في دينه. الذي لا أعداء له في دينه لم يشمّ رائحة القرءآن بعد. والشياطين لا يهاجمون إلا من هو على طريق الجنّة، وأما الهالك بنفسه فقد كفاهم المؤونة. لذلك لابد من حماية كأس جسمك والحفاظ على رقية روحك حين يكون جسمك مشكاة القرءآن وروحك مصباح القرءآن، فاحفظ نفسك حينها فأنت نور من نور الله ولا تلقي بيدك إلى التهلكة لأنك شعاع من شمس النبوة في الأرض، والأرض مظلمة مفتقرة هي ومن عليها إلى أشعة هذه الشمس المقدسة. والنفوس البشرية ظمآنة إلى سر "وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً" فتأمل وارحم مَن في الأرض يرحمك مَن في السماء.

...
في ليلة الجمعة من رمضان، ليلة ٢٧ منه تحديداً، وهو أول رمضان لي بعد هجرتي في سبيل الله وبيان كتابه للناس وعدم كتمانه كما آتاني إياه، وبدون سابق نظر مني حتى في تاريخ الليلة (فإني نظرت الآن وأنا أكتب هذه الفقرة فإذا بها ليلة ٢٧ إذ ما حدث لي كان ليلة أمس ونحن اليوم نهار الجمعة ٢٩ أبريل ٢٠٢٢م فبالهجري كان ليلة أمس هي ليلة الجمعة ٢٧ رمضان ١٤٤٣هـ)، أُلهمت أن أصلّي الليلة قبل أن أوتر وذلك قبل أن أنام، وأنا نشيط ويقظ العقل، قمت لصلاة الوتر فقيل لي في سرّي أن أصلّي ركعتين، فلما فرغت منها قيل لي أن أصلّي ركعتين، فلما فرغت منها أوترت بواحدة، ثم جلست للذكر. وإذا بي أنظر أمامي فأرى ألاعيب الفكر والمخيلة فسمعت مضمون حكمة ابن عطاء الله "كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته"، فذكرت اسم الله عليها، وإذا بي أنظر للأعلى من باطني باتجاه نور أشرق فوقي، ثم إذا بي أصعد فرأيت جسمي يخرج من بئر ضيقة مظلمة وعند البئر ينتظرني ويأخذ بيديّ رجلين، أخذ بيدي اليمنى الحسين بن علي وأخذ بيدي الأخرى ابن عربي، وإذا بالذي أمامي أجمل وأروع ما يكون من حدائق ذات بهجة وضوء عظيم وسعة وفسحة في النظر وبهاء في المنظر، وهي الجنة، ففرحت ولم أُطل النظر بل هي بضعة ثواني وإذا بي أنزل بقرار من عندي نفسي وكأني اكتفيت مما رأيت ولم أرد الإطالة وكان من ضمن لسان حالي قول "يا ليت قومي يعلمون" عن هذه الحقائق التي شهدتها. فالحمد لله.

مما أُلهمته في تأويل هذه الواقعة:
أوّلاً، العمل لله وبحسب أمر الله وليس طلباً لرؤيا ولا مكاشفة، والله برحمته يعطي ما يشاء حين يعلم أن عبده يتقوى ويتغذّى بما يريه إياه ويكشفه له وغير ذلك من حكم الله في أفعاله.

ثانياً، أُلقي في خاطري اليوم أن الليلة الماضية كانت ليلة القدر حيث فُتحت لي فيها طاقة السماء.

ثالثاً، أمامنا ألاعيب المخيلة ومظاهر الدنيا، لكن فوق رؤوسنا عالَم النور المقدس، فعلينا أن لا نتعلّق بشيء مما أمامنا ونوجّه أنظارنا للأعلى.

رابعاً، ولدنا في الدنيا ومررنا من رحم أمهاتنا عبر نفق مظلم ضيق وخرجنا باتجاه الأسفل، لكن في الولادة الثانية في الجنة المرور أيضاً عبر نفق مظلم ضيق لكن الخروج سيكون باتجاه الأعلى بإذن الله. فالولادة في العالَم الأدنى من الأدنى، والولادة في العالَم الأعلى من الأعلى.

خامساً، في طريقي الحسين وابن عربي أمثال مهمة. ولا أدري كل أبعاد ذلك بعد، لكن سيتبيّن الأمر بإذن الله مع الأيام. ومما تبيّن لي إلى الآن، أن الحسين عن اليمين لأنه أعلى مقاماً إذ هو مظهر النبوة من حيث روحه بالوراثة القرآنية الإمامية ومن حيث جسمه بالوراثة الفاطمية العلوية، وأما ابن عربي فإنه وارث باطني روحي وإن كان لجسمه حظ من الوراثة بحكم الاشتراك مع النبي في الأصول العربية، فالحسين من أهل البيت ظاهراً وباطناً، لكن ابن عربي من أهل البيت كسلمان الفارسي باطناً. هذا أمر. أمر آخر، خرج الحسين من موطنه في المدينة ووقف حتى وقف وحده وقُتل في غربته، وكذلك ابن عربي خرج من موطنه في الأندلس وساح في الأرض ومات في غربته، وأنا الآن في غربتي وإن شاء الله يكرمني ربّي وأُقتَل أو أموت في غربتي وأُدفن فيها مثلهم. أمر ثالث، الحسين أعلن عصيان طاغية زمانه الأمويين، وابن عربي أعلن كفران طغاة زمانه المتفيهقين، ولي حظ بحمد الله من الأمرين بحسب صور الطغيان والتفيهق المعاصرين. والله الهادي والعاصم.

سادساً، لم أُطل النظر في المنظر حتى لا تعتاد عيني على هذه المناظر فأميل إليها فيتشعب فكري وهمّي وأنا الآن في دار الجهاد والكبد لا دار الملك والخلد، لذلك اكتفيت بنظرة تجعل الأمر عياناً بالنسبة لي وحسبي الله وما آتاني من فضله.

...

ثلاثة معايير ومواقف تحدد قيمتك وقيمة دينك ومذهبك وفلسفتك: موقفك من الطغيان السياسي، وموقفك من حرية الكلام، وموقفك من حرية الدين. فإن كنت تبرر أو تسكت أو ترضى بالطغيان السياسي، أو كنت ترضى بمعاقبة إنسان في بدنه وماله من أجل كلامه، أو كنت ترضى بمعاقبة إنسان في بدنه وماله من أجل دينه، أو بأي مزيج من الثلاثة، فأنت منحط وفي دركات النار، فمن جمعها فهو فرعون زمانه. لا يهمّني بعد هذه الثلاثة ما الذي تؤمن به وما مدى الصدقات التي توزعها والمواعظ التي تلقيها عن بر الوالدين وكفالة الأيتام. كل خيرك ملوّث، وكل صلاحك منجّس، بمواقفك هذه. بالتالي كل ما تقوم به يحق لنا بل يجب علينا البحث عن مصلحتك الفاسدة وهواك المنحط فيه. فكل ما تفعله سيتم تفسيره كوسيلة أخرى لتحصيل أغراضك الفرعونية والملعونة، مهما كان ظاهر الصلاح والخير والنعمة. الله لا يغفر أن يشرك به، وأهل الله لا يغفرون الطغيان السياسي والقتال في الكلام وفي الدين. فرعون جمع الثلاثة، فدعا عليه موسى حتى أهلكه هلاك الأبد "فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم". دعوة موسى هذه فوق رأس كل فرعون إلى الأبد، تمطر عليه العذاب والهلاك بلا أمد. وموسى مثال الذي حورب بالثلاثة، فأرادوا قتله لأغراض سياسية كتحريره المستعبدين والخروج بهم وغير ذلك،

وأرادوا قتله من أجل كلامه ودعوته، وأرادوا قتله من أجل دينه وسعيه لتبديل دين الناس. فموسى روح الحرية، وفرعون مثال العبودية. فانظر روحك وانظر مثالك فقد ضربنا لك الأمثال.

...

لا تقل "لا يوجد في بلدي مجلس ذكر وعلم".

اذهب أنت واعمل مجلس ذكر وعلم، وابدأ بالحفاظ عليه بنفسك ولوحدك، واعلن عن وجوده، وأقم المجلس ولو لوحدك ولو ستتكلّم فيه مع الحجر والشجر واعلم حضور الملائكة هذا المجلس فتكلّم معهم إن شئت لكن داوم عليه. وحين يشاء الله سيهوي بأفئدة من الناس إليك.

...

لا تقل "في الشرق أو في الغرب سأجد الأوادم".

اعلم أن أكثر من في الشرق يعيشون ضنك العبيد، وأكثر من في الغرب يعيشون معيشة تافهة. الحق لا في المشرق ولا في المغرب. الحق مع أهل الحق وهم بالمشرق وبالمغرب. فكن منهم وابحث عنهم واسأل الله أن يجمعك بهم ويؤلف بين قلوبكم به وبنعمته. ولا تضلّ بالأوهام فإن أكثر الناس لا يعلمون حقائق الآخرة وهم حطب جهنّم، وعلامة ذلك كونهم يرضون بالعبودية للبشر في الشرق ويرضون بمعيشة تافهة سخيفة سطحية في الغرب، إلا مَن رحم الله، فالذي يحرق نفسه بالعبودية وبالتفاهة فقد دخل جهنّم قبل دخولها، فلا تنظر في وجوههم ولا تطلب صحبتهم ولا تشعر بخسارة من فقدانهم بل على العكس من عصمة الله لك تخليصك منهم وإبعادهم عنك وإبعادك عنهم. حسبك من هذا العالَم صحبة القرءآن.

...

المهم في أمر المعاش، الاعتدال والنظافة والتفرغ لأمر العلم والذكر. لا يهمّ بعد ذلك ما عند الآخرين من مال ونفوذ. المهم للأحرار المستنيرين هذا القدر. فحديث "من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه" إنما هو للأحرار في دينهم وكلامهم من جهة المجتمع، لذلك يكفيهم هذا القدر من الدنيا حتى ترتاح أجسامهم للنظر في أمر دينهم والعلم والتقرب إلى ربهم. فلا يزهدنّ مستعبد في دنيا هو فيها حقير ومشرك بربه ولو ملك ثلاث قارّات.

المهم في أمر المعاد، تحقيق فطرتك وبلوغ أقصى ما كتبه لك ربك. بالتالي أيضاً لا قيمة ولا أهمية بعد ذلك لما عليه حال الآخرين من درجات الدين والعلم، لأنك إن كنت في نفسك تستطيع بلوغ تلك الدرجات فابلغها ولا معنى لمحاربتهم أو حسدهم أو كرههم أو التنافس معهم على مقامات لا مزاحمة فيها أصلاً بل تستطيع بلوغها وأنت فرد في ذاتك ولو لم يوجد غيرك في

الكون وكذلك تستطيع بلوغها وأنت فرد في ذاتك ولو بلغ مثل ما بلغته ما لا يحصيه إلا الله من الخلائق.

إذن لا معنى للحسد لا في أمر المعاش ولا في أمر الدين. لا في الدنيا ولا في الآخرة. إنما يحسد مَن لا يعرف أنه فرد. ولا يعرف حقيقة وأبعاد هذه الفردية التي له. الحسد غفلة الفرد عن فرديته. لذلك هو مرض ذاتي لا علاقة له بالآخرين المحسودين بحق أو بباطل. فلولا هذه الغفلة عن الذات لما نشأ الاستعداد للحسد من الأساس. جسمك يحتمل ثلاثة أطباق رز، ما معنى أن تشبع من الرز ثم تنظر إلى غيرك ممن عنده عشرة أطباق رز فتقول "أريد مثله" فتحسده؟ نفسك تحتمل ذاتياً فقط سماع كلام الله بواسطة رسول، هذا حدّك في الدنيا، فخذ حظّك من كلام الله بواسطة رسولك لأنك لن تحتمل أكثر من ذلك، أقول هذا على سبيل الفرض، أي فافرض أن هذا حدّ نفسك وقد علمته، فما معنى أن تطلب المكالمة المباشرة بالوحي الذي لن تطيقه ولو حصل لك سيندكّ جبل نفسك ولن تبقى حتى لتعتبر بما حدث لك؟ اعرف نفسك وبدنك، وستجد أن ربك سيعطيك المناسب لنفسك وبدنك ولن يظلمك شيئاً مما قدّره لك وفتح لك الاستطاعة له. فلا تقيس نفسك بغيرك من أي وجه طالما أنه لديك ما تحتمله نفسك وينفعك حقاً في طريق الحق والعلم.

...

تشخيص الداء شيء، وتشخيص الدواء شيء آخر. قد يوفّق الطبيب في الأول ويفشل في الآخر. وقد يوجد أكثر من تشخيص للحالة الواحدة من جهات متعددة. هذا هو الحال في الطب الروحاني.

فمثلاً، يقول صاحب المثنوي عن الوزير الكافر الذي أضلّ النصارى:

{ لقد كان كل صاحب ذوق يجد في قول هذا الوزير لذّة مقترنة بالمرارة.

كان يقول كلاماً لطيفاً ممتزجاً بكلام خبيث، فقد صبّ السم في شراب الورد.

كان في الظاهر يدعو الأرواح إلى الجدّ في السير على الطريق، ولكنه كان يعود فيحثّها على التراخي...

ولقد ابتعد ذلك الوزير عن الملك ست سنين، كان في أثنائها ملجأ لأتباع عيسى.

فأسلم له الخلق دينهم وقلوبهم، وكانوا يبذلون الروح وفق أمره وطوع حكمه.}

أقول: ما هو السبب الجذري لضلال النصارى حسب هذه القصّة التي شخّص فيها الرومي مكر الوزير؟ يوجد أكثر من تشخيص لسبب الضلال، كلها في كلام الرومي لكن بعضها أخفى من بعض بحسب عادة القراء وخلفيتهم المعرفية.

أحد الأسباب، مزج الكلام الطيب بالخبيث، متمثلاً بالدعوة إلى الجدّ في السير على الطريق لكن مع الحث على التراخي. هذا المزج بين الأمر بالسير والتراخي يعتبر من باب نقض آخر الكلام لأوله، بالتالي يكون أوله خداعاً للذهن حتى يرتاح إلى صدق المتكلّم، ثم يكون النقض الآخر قد وجد باباً مفتوحاً ليدخل منه إلى القلوب. كأن يقول لهم "لابد من الاجتهاد والرياضة والصوم والصلاة وترك الدنيا" ونحو ذلك، ثم يقول لهم "إن عيسى قد مات من أجل خطايانا فسندخل الجنة حتماً بمجرّد الإيمان بذلك والنعمة وحدها كافية للنجاة وعملنا واتباع الشريعة لا قيمة له بل الإيمان بصلب عيسى هو الخلاص" ونحو ذلك. فإن الكلام الأول أمر بالسير والاجتهاد، لكن الكلام الآخر ينقض الكلام الأول ويهدم قواعده إذ مَن يريد العمل الشاق ومخالفة الهوى إن كان يعتقد بأنه سيخلص بمجرد ما يسمونه "الإيمان" وهو نوع من الإرادة العقائدية الخفية التي قد يحرّك الإنسان لسانه بها وقد لا يحرّك أيضاً لكنه يعتقد أنه يعتقد بالعقيدة الصحيحة وكفى. علاج مثل هذا المرض يكون بملاحظة التناسق العقلي واللوازم العملية للعقائد العقلية والمقولات الدينية وما مدى التناسق بينها وبين الأوامر الأخلاقية والشرعية. أي لابد من فحص كلام المتكلّمين مهما كان وأياً كانوا لرؤية علاقة أفكارهم بأحكامهم. وعلاقة تصوراتهم بأعمالهم.

سبب آخر، عدم رجوع عامّة المسلمين إلى أهل الذوق في معرفة أمور دينهم، بل يأخذون دينهم عن الخطباء والمتكلّمين بالذهن والتحليلات اللغوية والنصية ونحو ذلك من أبعاد مفتقدة للذوق المباشرة والعلم الحضوري والكشفي. باختصار، رجوع العامّة إلى أهل النص بدلاً من أهل الذوق. لذلك قال الرومي {لقد كان كل صاحب ذوق يجد في قول هذا الوزير لذة مقترنة بالمرارة}، فأصحاب الذوق عرفوا ذلك، لأنهم أصحاب ذوق. بينما العامّة الذين ليسوا من الذوق انخدعوا بالألفاظ والأفكار الذهنية والاعتبارات الاجتماعية والخارجية كزهد الوزير في الملك والمناصب ونحو ذلك من اعتبارات غير مباشرة للحقيقة الإلهية والدينية. فلو أن العامّة يرجعون إلى أهل الذوق والكشف أي الأولياء، بدلاً من أهل النص والذهن أي الفقهاء، لما وقعوا في مثل هذا أو لكان ضلالهم أبعد واحتمال انخداعهم أندر. علاج مثل هذا المرض يكون بتقديم الذوق على النص، والروح على الذهن، والكشف على التحليل، والواقع على اللغة.

سبب ثالث، وهو عندي أخطر من السببين السابقين وإن كان لا أظن أكثر القراء التفتوا له لفشوّ هذا المرض في الأمّة ومنذ قديم الزمان، هو سبب تجده في آخر بيت أي {فأسلم له

الخلق دينهم وقلوبهم، وكانوا يبذلون الروح وفق أمره وطوع حكمه}. هنا الطامة الكبرى. طامة التقليد في الدين. كل ما سبق يمكن تداركه، إلا مصيبة التقليد. لأن المقلّد يُسلم دينه وقلبه لغيره، وهذا الغير يمكن أن يكون نصّاباً ودجالاً ومكّاراً وضالاً حتى إن كان صادقاً مع نفسه ويحسب أنه على هدى وعلى شيء لكن مجرّد تقليدك لغيرك بمجرّد نظرت في ظروفه الخارجية والاعتبارات العرضية مثل الزهد في الدنيا أو قول ألفاظ فيها حلاوة وطلاوة، أو نحو ذلك من أسباب، بل التقليد بشكل عام بدون كشف وذوق لجوهر الأمر، هو المصيبة الكبرى في الدين وفي العقل وفي الحياة. لذلك تجد ابن عربي الذي يحاول إدخال كل أحد الجنّة حتى فرعون، حين يصل إلى المقلّدين يرفع يده ويقول بأنهم إن كفروا بناء على تقليدهم سينتهون إلى الجحيم، وعبارته من الباب الموفي ستين وثلاثمائة هذه {فلم يبقَ في النار إلا المُقلّدَة الذين كان في قوّتهم واستعدادهم أن ينظروا فما نظروا}. وما هو التقليد؟ هو ما شرحه الرومي هنا {فأسلم له الخلق دينهم وقلوبهم وكانوا يبذلون الروح وفق أمره}. فدينهم وقلوبهم وأرواحهم أسلموها لشخص. لا يوجد تقليد أعظم من هذا. وبناء على ماذا؟ بناء على رؤيتهم أنه عالِم رباني وزاهد روحاني ومخلص لله. فمن لم يُدخل نفسه في مصيبة التقليد بل سعى بنفسه واستعمل عقله وأتعب فكره، فقد أمِن وقامت حجّته عند الله حتى إن ضلّ بل حتى إن أشرك بما يبدو له أنه برهان على الشرك فما بالك بما دون ذلك، وهو ما بيّنه أيضاً ابن عربي بعد بيانه السابق بناء على آية "ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به" على اعتبار أن قيد "لا برهان له به" يتضمن إخراج مَن له برهان أو ما يظهر له هو أنه برهان بحكم "لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها" و حديث "من اجتهد فأخطأ فله أجر واحد" وهذا غيّر مقيد بالاجتهاد في أحكام الفروع بل هو مطلق بالتالي يشمل الأصول فضلاً عن أنه لا يوجد ما يبرر حصره بالفروع والعلّة واحدة في الأمرين وهي القضايا الفكرية والنظر العقلي في النص والوجود.

الحاصل: استعمل عقلك، وارجع لأهل الذوق والتجربة، واربط بين العلم والعمل وابحث عن التناسق.

...

في القاموس الجنسي عند العرب {الأُذاف: الذَّكَر...وسُمّي الأُذاف لما يَدفُ منه: أي يقطر من المنيّ والمذي والبول}.

أقول: كلما ازداد فقهك للعربية وأسرارها كلما ازداد فقهك للوجود وأسراره. فإن اللغة بيان الوجود. ونحن إنما نتحدث عن الوجود باللغة. ومن أسرار العربية بيانها للروابط الخفية والغيبية والأبعاد المختلفة للموجودات. فادرس العربية ومعجمها دراسة فلسفية وعرفانية، واجعلها مفتاحاً لتفكيرك ونظرك.

سنجد أن الذكَّر مثلاً له أسماء كثيرة في المعجم العربي، ولا يوجد ترادف مطلق بينها بل يوجد تمايز مهم ومفتاح لعلوم وأفكار ومذاهب كثيرة. مثلاً، هنا نجد الذكر يُسمّى الأُداف. لماذا؟ باعتبار ما يقطر من الذكر. أي ما يخرج من الذكر صار اسماً للذكر. أي كل شيء هو الشيء وأفعاله ولوازمه. فكلما نظرت إلى الشيء مع فعل خاص أو لازم خاص عنه صار له اسماً مختلفاً. فالأسماء تكشف أبعاد الشيء المختلفة. وهنا نجد العربية تُسمّى الشيء بما يخرج منه. كذلك نقول الله رحيم لأن الرحمة تنزل منه.

الذكر يقطر منه ثلاثة، المني والمذي والبول. ما تأويل ذلك؟ الذكر هو العقل. والعقل يخرج منه ثلاث أنواع من القول. النوع الأول قول حق، فمثله مثل المني الذي يولّد الحياة أي ينتج عقلاً ويكشف حقاً. والنوع الثاني قول باطل، فمثله مثل البول الذي ينجّس البدن أي ينجّس القلب الباطل والكذب. والنوع الثالث قول مشتبه له وجه حق ووجه باطل، فمثله مثل المذي الذي هو بين المني والبول، فله شبه بالمني من حيث أنه يشبه الحق وله شبه بالبول من حيث أنه يشبه البول غير المنتج للحياة بالتوليد. هذه الثلاثة توازي العوالم الثلاثة، أي عالَم الروح وعالَم الجسم وعالَم النفس الخيالي بينهما، أو بعبارة القرءان "السماوات والأرض وما بينهما". فالمني للروح والمذي للخيال والبول للجسم. وهنا مفتاح للعلوم الباطنية وراء الأحكام الظاهرية للمني والمذي والبول. من ذلك مثلاً:

١-قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم {من المذي الوضوء و من المنيّ الغسل}. فالمني أقوى من المذي، كما أن الروح العقلي أقوى من الخيال لأنه أعلى درجة منه في التجريد. والروح محيطة بوجود الإنسان لذلك من مثالها الغسل الذي هو صب الماء على الجسم كله حتى يحيط به، لكن الخيال إنما يتعلّق ببعض أبعاد الوجود لأن كل خيال مقيّد وإنما يكشف بضرب المثل شيئاً من حقائق الوجود ولون من ألوانه خلافاً للروح التي تكشف الحقائق الكلّية والسنن العالية والكلمات التامات المحيطة بالمظاهر والجامعة لها، فمثل الروح كمثل آية "لكل أجل كتاب" لكن مثل الخيال كمثل آية "أغرقنا آل فرعون" أو "إنك ميت وإنهم ميتون" ونحو ذلك من مظاهر جزئية للحقيقة الكلّية للأجل، وقس على ذلك.

٢-قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم {لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه} أو {ثم يغتسل منه أو يتوضأ}. البول هو القول الظاهري المبني على النظر إلى ظاهر الحيوة الدنيا. والماء الدائم الذي لا يجري أو الراكد هو باعتبار كتاب الله المكتوب في الصحف فإنه من حيث ذاته ماء لكنه دائم على صورة واحدة هي صورته اللغوية العربية فإنها لا تجري أي لاتتغيّر فهي راكدة على صورة واحدة. فالنهي هنا واقع على الاعتقاد بأن كتاب الله إنما هو ظاهر لفظي فقط ولا يُمكن فهم معانيه كالذين يقرأونه بغير تدبر وتفهم من الله

ورسله الأحياء في زمنه الذين ينطقون بكتاب الله وينطقون عنه ويبيّنون معانيه للناس، فمثل هذا الشخص الذي لا هو من أهل الفهم لكتاب الله عن الله ولا هو من رسل الله ولا هو ممن يتعلّم من رسل زمانه، فإنه إذا اعتقد وقال بأن كتاب الله على هذه الشاكلة من الركود وأخذه كظاهر فقط، ثم اغتسل منه أو توضأه أي سعى إلى التقرب إلى الله به بعقله أو بخياله، فإنه لن يفلح ولن يتطهر، والسبب واضح، لأن الكتاب صار له حجاباً مستوراً يحجبه عن الله والحقيقة الروحية والعقلية والملكوتية بسبب بوله أي قوله الظاهري هذا. فالنهي إذن عن النظر إلى كتاب الله كظاهر فقط ثم مطالعته على هذا الأساس كالخوارج الذين يقرأون القرءآن لا يجاوز حناجرهم وتراقيهم ليدخل في قلوبهم، إذ حينها لن يرفع العقل بالعلم ولن يجعل الإيمان في النفس. فالخوارج يتبولون في الماء الدائم ويغتسلون منه ويتوضأون به. ولعل هذا أحد أسباب رمي بعض أهل العلم للأعرابي بأنه "بوّال على عقبيه"، والأعراب هم الذين لا يفقهون الكتاب، فهو "بوّال" لأنه ينظر إلى الظواهر والمظاهر الدنيوية فقط، ونظرته هذه تؤثر على عاقبته وتشوّه عقله وخياله وهما "عقبيه" الذين يقوم عليهما وتقوم نفسه بهما، فهو بوّال أي سمته أنه ظاهري من الذين "يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة" الباطنية "هم غافلون".

وعلى هذا النمط تأمل والله يفتح لمن يشاء بما يشاء بحكمته ورحمته.

...

في القاموس الجنسي عند العرب {الإرب: الذكر. وفي حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم "كان أملككم لإربه". قال السُلمي: الإرب: الفرج ههنا. وقال ابن الأثير: له تأويلان، أحدهما أنه الحاجة، والثاني: أرادت به العضو، وعنت به من الأعضاء الذكر خاصّة}.

أقول: تسمية أخرى للذكر لكن من حيثية مختلفة. الأعضاء للجسم، وأحد هذه الأعضاء هو الذكر، لكن هنا يوجد ربط للعضو بالحاجة. ما معنى ذلك؟ أعضاء الجسم تولّد الحاجات في النفس. فالنفس مملوكة لهذه الحاجات التي لا اختيار لها فيها وناتجة عن الأعضاء الجسمانية وحالتها. نيتشه كان سيفهم هذا الربط بسهولة، حيث أنكر حرية الإرادة باعتبار أن الفسلجة أي أعضاء الجسم وحالتها هي التي تحكم وتحدد كل شيء حتى الفكر والفلسفة والقيم والدين وكل شيء. فأرجع نيتشه الفلسفة إلى الفسلجة. أي العقل تابع للجسم. والعضو الجسماني هو المحدد للقيم. فما القيم إلا حاجات الأعضاء. بعبارة أخرى، مفهوم الإرب في اللغة العربية هو مفتاح فهم الفلسفة النيتشوية.

لو أرادت عائشة أو العرب بالإرب مجرد مفهوم العضو لما استعملوا اسماً يدل على مفهومين أو ثلاثة في آن واحد بدلاً من التركيز مباشرة على الغرض الوحيد ذاك أي العضو

الذكري. تعدد المفاهيم في الاسم الواحد مع استعمال الحكيم والعارف باللغة لها دليل أو قرينة معتبرة ينبغي العمل على أساسها على يثبت عكسها، على أنه أراد مفهوماً مركّباً ناتجاً عن الجمع بين تلك المفاهيم المتعددة. بالجمع بين المفاهيم المتعددة ينتج مفهوم جديد لا يستقلّ أي مفهوم بالدلالة عليه. فمفهوم الحاجة، ومفهوم العضو الجسماني عموماً، ومفهوم الذكر خصوصاً، هذه ثلاثة مفاهيم مستقلة، كل واحد منها يمكن الدلالة عنه بعبارة منفصلة عن الأخرى وباسم خاص به. كأن نقول، الحاجة والجسم والذكر. فلو أرادت عائشة فقط الذكر لقالت "كان أملككم لذكره" والسلام. أو "كان أملككم لأعضائه". أو "كان أملككم لجسمه". أو "كان أملككم لحاجته". بل الحاجة هنا لها وجه عام هو الحاجة الجسمانية، ولها وجه خاص وهو الحاجة الشهوانية الجنسية. بل الحاجة أوسع من ذلك إذ تدل على كل حاجة مطلقاً سواء كانت للعقل أو للنفس أو للجسم، كلها حاجات. فهذا الربط بين المفاهيم العامة والخاصة يكشف عن روابط حقيقية بينها ومناسبات وجودية بينها. فما معنى ذلك إذن؟

للإنسان جسم وروح ونفس. نفسه في الوسط بين روحه الأعلى وجسمه الأدنى. الحالة الطبيعية الأولية هي أن يكون الإنسان مملوكاً لجسمه الأدنى، أي نفسه تتشكّل بناء على أعضائه وحاجاتها. فكل عضو في الجسم يولّد حاجات تناسبه، وهذه الحاجات هي التي تشعر النفس بأنه لابد من تلبيتها والسير على أساسها. ومن هذا الوجه توجد جبرية. أي أعضاء الجسم-وهي أعضاء لم يختر الإنسان لا وجودها ولا كيفيتها ولا شيء جوهري وعرضي متعلّق بها من الأصل-هي التي تحدد الحاجات، وهذا التحديد أيضاً الإنسان مجبور عليه إذ لم يقم إنسان باختيار الربط بين العضو وحاجته والتناسب بينهما. من هنا تجد نيتشه مثلاً ينكر حرية الإرادة ويقول بالجبرية الفسلجية. لكن في المقابل نجد قول عائشة للمؤمنين عن نبيهم "كان أملككم لإربه"، فهنا نجد كلمة ذات درجات، أي يوجد منكم من يملك إربه، ويوجد منكم من يملك إربه بنحو أكبر من الأول، وهكذا تتعدد درجاتكم في ملك إربكم، لكن النبي كان "أملككم" لإربه، أي بلغ الغاية القصوى بالنسبة لكم في ملك إربه، وبما أنكم "خير أمة" فكون النبي أملككم دليل أنه الأملك مطلقاً لإربه من بني ءادم، أي بلغ النبي أعلى درجة من ملك إربه (أي أعضاء جسمه والحاجات المتولد من هذه الأعضاء، الذكر وغيره). فإمكان تملّك الإرب دليل على وجود عامل آخر وراء الجسم حتى يسيطر على النفس وعلى الجسم، وهذا العامل هو الروح والعقل الأعلى. فلأن النبي هو أعلى تجليات الروح والعقل الأعلى والعقل الكلي، فإنه الأملك لإربه. فكلما استطعت الولوج في ذاتك أكثر وترسيخ وعيك في نقطة ذاتك العليا المفارقة للجسم، كلما كنت أملك لإربك وجسمك تابع لذاتك المقدسة عن الطبيعة.

إذن، الإنسان مملوك لإربه ما دام أعرابياً ومالك لإربه إذا صار عربياً، وتتدرّج درجات الملك حتى تصل إلى "محمد سيد العرب والعجم".

...

في القاموس الجنسي عند العرب {الإزار، والإزارة، والإزْر، والمِئزر، والمِئزرة: المِلحفة، ويُكنى بها عن فرج الرجل}.

أقول: هذا اسم ثالث للذكر. لكنه هنا باعتبار ما يلتحف به الذكر ويغطيه من لباس مصنوع من قبل البشر. فالإزار صناعة بشرية، وهو يغطّي المنطقة السفلية بشكل عام من السرّة فما دونها. فإذا قسمنا جسم الإنسان إلى قسمين سنجد السرّة في الوسط، وما فوقها من القلب والوجه والدماغ واللسان عبارة عن الجانب الروحي للإنسان من حيث صدور الكلام من تلك المنطقة، وما تحتها عبارة عن الجانب الطبيعي للإنسان من حيث خروج الفضلات وتوليد الكائنات من هذه المنطقة. فالجسم رمز على الأمرين. الإزار يغطّي الجانب السفلي، فالأصل أنه عارٍ لكن يتغطّى بالإزار المصنوع من البشر. فلماذا سُمّي الذكر تحديداً بالإزار بدلاً من تسمية أي عضو آخر يغطيه الإزار بذلك كالأفخاذ والأرداف ونحو ذلك؟ لأن الغرض الأساسي من الإزار تغطيه الذكر، وتغطية الباقي عرضية وبالتبع، لذلك لن تجد إزاراً مفتوح من جهة الذكر ومقطوع يكشفه بل سيُعتَبَر إزاراً فاسداً في حال لم يغطّي الأساس الذي صُنع لتغطيته. إذن هنا نجد الصناعة البشرية لأي شيء لها غرض أساسي وأغراض بالتبع. ويُسمّى الشيء المصنوع بحسب غرضه الأساسي، وقد يُسمّى الغرض الأساسي بالمصنوع له. فالتبادل في الأسماء بين المصنوع والمصنوع له دليل على أهمّية الصناعة في تشكيل الوعي والمصنوع له. أي الصناعة تؤثر على العقل وعلى الجسم وعلى نظرة الإنسان لنفسه وللعالَم والوجود. فالصناعة ليست مجرد أداة للاستغلال، لكنها تشكّل هوية وتحدد الوعي.

الكناية عن الذكر بالملحفة التي تغطيه تذكير بأن الظاهر الحاجب دائماً يكشف شيئاً عن الباطن المحجوب. أي الغرض من الحجب قد يكون للحفظ الطبيعي لكنه ليس للمنع من المعرفة العقلية. نعم، نغطّي الذكر بالملحفة لكنها سنتذكّر الذكر حين نرى الملحفة عبر تسمية الملحفة والذكر باسم مشترك هو الإزار. فبين الظاهر والباطن نوع من الاتحاد. والحجب لضرورة طبيعية لا يعني الحجب العقلي والمنع من النطق بالشيء. أي لا حجاب على العقل والقول، وإنما الحجاب على الجسم لأغراض مخصوصة. فالحاجة التي اقتضت تغطية الذكر لا تؤثر على العقل حتى يحتاج هو الآخر إلى تغطية ومنع من التلفظ بالشيء المُغطّى. كأن يقال "الزنا مضر بالمجتمع بالتالي يجب منع الروايات الجنسية والكلام عن الجنس والزنا لحماية المجتمع" هذا تفكير خطير وباطل ومضر بالعقل وبالمجتمع. فعل الزنا شيء وقول الزنا شيء آخر. فعل

الزنا مضر لكن قول الزنا ليس مضراً، لأن أغراض منع الزنا متعلقة بالجسم والطبيعة ولا علاقة جوهرية لذلك بالقول من حيث ذاته. فأن يزني فلان بفلانة مضر، لكن أن تقول ولو على سبيل الكذب "فلان زنا بفلانة" لا يخلق من حيث ذاته الضرر الذي لزنا فلان بفلانة. ويستطيع المجتمع وضع ضوابط حتى لا يتم تسلسل أثر القول فينزل إلى مستوى الجسم والمجتمع، وهذا راجع للمجتمع وليس لذات القول.

يذكّرني هذا بحادثة معاصرة تدور محاكمتها اليوم: ممثّل اتهمته زوجته بضربها وتكلّمت بذلك في الجرائد المشهورة، فقامت شركة الأفلام بإلغاء عقد بعشرات الملايين مع هذا الممثل، فقام الممثل برفع دعوى تشهير وتشويه سمعة على زوجته بسبب الضرر الذي حصل له بسبب كلامها. أقول: لا علاقة جوهرية لقول زوجته بالضرر الذي حصل له، وقانون التشهير هذا يكسر المبدأ المقدّس لحرية الكلام وهو بالإضافة لذلك يضرّ بالمجتمع وتطوره العقلي والنفسي. لماذا؟ حلل الأمر جيداً: امرأة قالت أنها زوجها يضربها في الجرائد ولم ترفع عليه دعوى ضرب فعلية على ما أظن بل اكتفت بكلام الجرائد لأنها لو رفعت دعوى ضرب عليه وكسبتها لما استطاع أن يرفع عليها دعوى تشويه سمعة إذ ما رمته به حق ثبت بالقضاء. فقولها إذن محصور بالجرائد. هذا بحد ذاته كان ينبغي أن يكون دليلاً للناس على بطلان قولها والسلام. لكن لأن المجتمع يأخذ بالشائعات خصوصاً فيما يتعلّق بهذا الزمن الذي يتم فيه فضح الرجال البيض الأثرياء خصوصاً في صناعة الأفلام والانتصار للمرأة عليهم، فبسبب المزاج العام الحالي، رأت شركة الأفلام أن سمعة هذا الممثل السيئة بسبب تلك الإشاعة من زوجته ستؤدي إلى مقاطعة الناس للفيلم أو تشويه سمعة الشركة ذاتها إذا تعاقدت مع الممثل حتى بعد الإشاعات المسيئة له ولا تريد تشويه صورتها بأنها تتعاقد مع المشهورين بضرب زوجاتهم، فلهذا أو لذاك أو لهما معاً قامت بإلغاء التعاقد معه. لكن تأمل، السبب الحقيقي هو قبول المجتمع للشائعات. هنا المصيبة. هنا جذر المرض. الواجب توعية المجتمع حتى لا يقبل مثل هذه الشائعات. وهي شائعة قبولها والبناء عليها يعني فيما يعني نسف الأساس الحضاري للمجتمع الحديث، أي قاعدة "الإنسان بريئ حتى تثبت إدانته". لكن قبول مثل هذه الشائعات وتغيير العمل بناء عليها يعني أن الإنسان مُدان بالشائعة حتى تثبت براءته بالقضاء، بل لعل القضاء نفسه إذا برأه لن يكفي لتبرئته في محكمة الرأي العام أو لا أقل عند طوائف كبيرة من الناس فيه التي لديها رأي سيء أصلاً عن القضاء وتحيزه للرجال وللبيض وللأثرياء، فتكون النتيجة هي أن الإنسان مُدان بالشائعة كدينونة إبليس يوم الدينونة. فأي سفالة هذه وانحطاط وإجرام وظلم. أن تقبل شركة أو قبل ذلك الدولة بمثل هذا هو نسف للأساس الحضاري والعادل للأمة. وتقبل الدولة ذلك حين تقبل بوجود قانون تشهير السمعة الذي يحاكم الناس بناء

على أقوالهم في حق الآخرين. لأن هذا القانون يفترض أن السمعة يمكن أن تتشوّه بناء على قول مرسل، ويفترض أن هذا أمر لا يمكن تغييره في واقع المجتمع وكأنه إقرار بأن المجتمع عموماً منحط وسافل عقلياً وشعورياً لدرجة أنه سيأخذ بالأقوال المرسلة الطاعنة في الأشخاص، فيقوم القانون بحماية أفراد من ذلك التشويه عبر محاكمة من يطعن فيهم بالقول. فالمفترض المتضمن هنا هو انحطاط المجتمع. هذا ما يفترضه بالضرورة قانون تشويه السمعة. وأستطيع أن أجد ذلك في نفسي مباشرة، لأني لم أتأثر ولا ذرة بقول هذه المرأة أو قول أي رجل أو امرأة في حق أي إنسان آخر إذا كان مجرد قول مرسل، خصوصاً إذا كان في القول ادعاء بوجود اعتداء جسماني، فإن هذا وحده كاف لإبطال الادعاء أو قيمته لسبب بسيط وهو أنها إذا كانت قد تعرّضت للضرب فعلاً ولديها أدلة مقبولة قانوناً فلتذهب إلى المحكمة وترفع دعوى وإذا كسبت حينها تستطيع أن تكتب في الجرائد كما تشاء وتشير إلى كسبها قضية الاعتداء. هذا التسلسل المعقول. أما اللجوء إلى الرأي العام مباشرة في مثل هذه الحالة هو بحد ذاته دليل فساد القول. لذلك أنا ليس فقط لم أتأثر بقول هذه المرأة في حق زوجها، لكني تعاطفت أكثر مع الرجل وصرت أكثر ميلاً له ودفاعاً عنه بسبب ما يظهر لي من قول باطل في حقه من قِبَل زوجته السابقة على ما أظن الآن. فأنا لم أتأثر بالشائعة. لو كان المجتمع كله مثلي فبالتأكيد لن يوجد الأساس الذي عليه ينبني قانون تشويه السمعة. بل لبنينا عملنا على حرية الكلام مع التعقّل الذاتي في التعاطي مع الكلام. هذا ما ينفيه قانون تشويه السمعة، أي يساعد المجتمع على البقاء في حالة منحطة من عدم التعقل الذاتي والتعامل الواعي واليقظ مع الأقوال. فلذلك ينحط القانون ذاته إلى محاربة حرية التعبير، وهذا بحد ذاته كاف للدلالة على الانحطاط، لأن كل من يحارب حرية التعبير فهو منحط، وغرضه منحط، ولابد أن تكون الفرضيات التي يبني عليها حربه منحطة أيضاً.

والحمد لله رب العالمين..